عظمة أبو هريرة

عظمة أبو هريرة

تأليف: علاء إبراهيم الزناتي.

التصنيف: بحث ديني

تدقيق لغوي وإخراج فني وتصميم الغلاف

يوريكا لخدمات النشر

01288627690

eureka4publishing@gmail.com

بالتعاون مع

دار المثقفون العرب للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

رقم الإيداع: ٢٠١٩/٢٥٣٣٦

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٦٦٤٣-٩٤-٩

جميع الحقوق محفوظة ويحظر طبع أو تصوير أو تخزين أي جزء من الكتاب بأية وسيلة من وسائل تخزين المعلومات إلا بإذن كتابي صريح من الناشر

عظمة أبو هريرة

علاء إبراهيم الزناتي

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وعلى آل بيته الكرام العظام وعلى صحابته الغر المحجلين الذين نقلوا إلينا الإسلام صافياً لا يشوبه تحريف أو تزوير، وعصموه مما أصاب الأمم السابقة وزادوا عنه بحياتهم ودفعوا عنه السوء بأرواحهم .

كانوا لسيدنا محمد عوناً وعضداً؛ فبأيديهم هدم الأوثان وبعقولهم حفظ القرآن، وبإخلاصهم حصنت السنة.

فقد كانوا أهل الهيجاء[1] إذا ماجبنت الأرض كلها، وكانوا أهل الوفاء إذ ما غرقت الأرض ببحر الخيانة.

كان هذا حالهم وشأنهم فاستحقوا قول النبى ﷺ:

" الله الله في أصحابى لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه " [2] .

ووصفهم الله ﷻ فقال تعالى:

﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ

---

(١) الهيجاء: الحرب.

(٢) أخرجه الترمذي عن عبد الله بن المغفل حديث رقم ٣٨٦١ وقال عنه حديث (حسن) غريب ، والخطيب فى تاريخ بغداد ٩/١٢٣ .

فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ [الفتح: ٢٩]

وروى عن أبي سعيد الخدري قال : - قال رسول الله ﷺ :-

" لا تسبوا أحداً من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أَحد ذهباً ماأدرك مد أحدهم ولا نصيفه "(١).

وروى عن أبي هريرة قال : - قال رسول الله ﷺ :-

" لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أَحد ذهباً ماأدرك مد أحدهم ولا نصيفه "(٢) .

وذكر ابن كثير في تفسير سورة الفتح أن مالك ﷺ قال:-

"بلغني أن النصارى كانوا إذا راوا الصحابة رضي الله عنهم الذين فتحوا الشام يقولون: - والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا"(٣).

---

(١) مسلم فى صحيحه حديث رقم ٢٥٤١ ص ٩٢٥، مكتبة فياض للطباعة والنشر.

(٢) مسلم فى صحيحه حديث رقم ٢٥٤٠ ص ٩٢٥، مكتبة فياض للطباعة والنشر.

(٣) ابن كثير فى تفسيره لسورة الفتح آية رقم ٢٩ ص ١٩٥.

وروى الميموني: قال لى احمد بن حنبل :-

"يا أبا الحسن إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من الصحابة بسوء فاتهمه على الإسلام"[١]..

فقد كان المهاجرون الذين عُذبوا وطُردوا من ديارهم وسلبوا أموالهم وكان الأنصار الذين نصروا الله ورسوله وبايعوه على النصرة والحماية، ثم كان: المهاجرون والأنصار يداً واحدة لرسول الله ﷺ على عبدة الأصنام وهم الذين قاتلوا معه في بدر، وتحملوا مرارة الهزيمة في أُحد، وصمدوا معه في الخندق، إذ قذفتهم الأرض بطغام [٢] القوم، وأحكمت حصارها عليهم حتى أذن الله للانتصارات أن تتوالى بعدما صدقوا الله ورسوله في بيعة الرضوان؛ فكان فتح خيبر ومكة ثم عام الوفود ، ثم استكانة [٣] جزيرة العرب كلها لراية الإسلام، ثم تسلم صحابة رسول الله ﷺ الراية بعده فأحسنوا علاج الأمة بعد وعكة الردة، ثم أطلقت سيوفهم وميض التهديد إلى الفرس فدحضوا ملكهم وقُعقعة[٤] قصص الانتصارات إلى الروم فدحرجوهم عن الشام ومصر وفلسطين.

---

(١) اللالكائى فى شرح اصول الاعتقاد ٧/١٢٥٢، وكذلك ابن كثير في البداية والنهاية المجلد الرابع

(٢) طغام القوم : أوباش القوم .

(٣) استكانة: خضوع.

(٤) قعقعة: حكاية صوت السلاح.

لقد زين الله محمداً ﷺ بصحابته فظهر منهم من استبشر أهل السماء بإسلامه كعمر بن الخطاب[١].

ومنهم من كان لو أقسم على الله لأبره[٢].

ومنهم من كانت تستحي منه الملائكة[٣].

ومنهم من حملت الملائكة جسده إلى السماء[٤].

---

(١)) الطبراني – المعجم الكبير- باب العين صـ ٨٠ الجزء ١١ ، كذلك ابن ماجه صـ ٣٨ الجزء الأول عن ابن عباس رضى الله عنهما قال:- لما أسلم عمر نزل جبريل، فقال:- يا محمد لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر (استشهد به السيوطي في تاريخ الخلفاء فصل خلافة عمر بن الخطاب، صـ ٩٣، دار الفجر للتراث .

(٢) ذكر الترمذى فى سننه حديث رقم ٣٨٥٤ ، وقال عنه حديث حسن غريب عن أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال:- " رب أشعث أغبر لا يؤبه له لو أقسم على الله ﷻ لأبره، منهم البراء بن مالك" .

(٣) أخرج مسلم فى صحيحه حديث رقم ٢٤٠١ ص ٨٧٩، واستشهد به السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء ص ١٢٢ عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم جمع ثيابه حين دخل عثمان وقال:- " ألا استحي من رجل تستحي منه الملائكة؟!".

(٤) ذكر ابن الأثير فى أسد الغابة رقم ٢٧٢٤ الجزء الثالث ص ١٢٤ " إن عامر بن الطفيل قال لرسول الله ﷺ لما قدم عليه: من الرجل الذي لما قتل رأيته رفع بين السماء والأرض حتى رأيت السماء دونه، قال: " هو عامر بن فهيرة " .

ومنهم من أقسم حياً فبر الله قسمه ميتاً [١]. فلو تكلمنا عنهم ما وفت الكلمات مقدار، وما قدرهم مداد البحر إذا صار حبراً يجري على ورق. فهم الذى قال عنهم: عبد الله بن مسعود " من كان متأسياً فليتأس بأصحاب محمد ﷺ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قُلوباً، وأعمقها عقلاً، وأقلها تكلفا، وأقومها هديا، وأحسنها حالاً، قوماً أختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم "[٢].

ذلك فضلهم إذ أن الله اختارهم لنبيه واخترنا نحن منهم: أبا هريرة لنتكلم عنه، ونرجو من الله أن نوفق في ذلك .

---

(١) ذكر بن سعد فى كتابه تهذيب طبقات الصحابة ص ١٠٥ ، مطبوعات الهيئة العامة للثقافة " إن عاصم بن ثابت قد قتل عقبة بن أبي معيط الاموي يوم بدر، وكذلك مسافع بن طلحة وأخاه كلاباً، كلاهما أشعره سهماً، فياتي امه سلافة ويقول: - سمعت رجلاً حين رماني يقول: خذها وأنا ابن الأقلح، فنذرت سلافة إن امكنها الله تعالى من رأس عاصم لتشرب فيه الخمر، فلما أصيب عاصم يوم الرجيع أرادوا أن يأخذوا رأسه ليبيعوه من سلافة ، فبعث الله سبحانه عليه مثل الظلة من الدبر، فحمته من رسلهم، فلم يقدروا على شئ منه، فلما أعجزهم قالوا: إن الدبر سيذهب إذا جاء الليل فبعث الله مطراً، فجاء سيل فحمله فلم يوجد، وكان قد عاهد الله تعالى أن لا يمس مشركاً ولا يمسه مشرك، فحماه الله تعالى بالدبر بعد وفاته " .

(٢) ابن عبد البر فى كتابه جامع بيان العلم وفضله ٢/٩٤٧ رقم ١٨١٠.

هذا الصحابى الذي يملأ في قلبى مكاناً خاصاً فهو بحق أريج[١] لمن طلب العطر، مطلب من طلب الحلاب [٢]. فتجد فى سيرته نموذج للسعة بعد الضيق، وانفراج الكرب بعد إحكام الغلق، وحل الأربة[٣] بعدما اشتد حنقها فتجده فقيراً قد وشج له الحفف[٤] خيوطه ليصير بعد ذلك غنياً قد فتح له رغُد العيش ذراعيه، وتجده طالب علم يهيم [٥] في الأرض طالباً لما أراد حتى صار وتداً منه يبدأ العلماء مسيرتهم، وتجده قد أدرك النبى قبل وفاته بثلاث أعوام فتماقس [٦] مع الزمن حتى حايصه[٧] .

وبهذه الخصال قد صار: أبو هريرة الغني الذي من سيرته يستمد طالب المال الصبر، والعالم الذي من سيرته يستنجد طالب العلم بالجلد، المُقدم الذي بسيرته يحتذي المتأخرون، والنموذج الذى يوضح نهاية الإصرار، والقصة التى تبين كيفية النجاح، والإرادة التي تسفر عما يجب أن يخطوه المُريد، وعتدما تجمع هؤلاء معاً تستنتج الرواية التي تتكلم عن الراوية.

---

(١) أريج: الرائحة الطيبة.

(٢) الحلاب: الماء.

(٣) الأربة: العقدة التى لا تنفك.

(٤) الحفف: قلة ذات اليد والمراد به الفقر.

(٥) يهيم: يسير حيث لا يدرى أين يذهب .

(٦) تماقس: التماقس هو التسابق في الغوص، والمراد هنا التسابق فى بحار العلم.

(٧) حايصه: راوغه وغالبه.

اسمه

كان أبو هريرة. فى عظيم علمه وبزخ مكانته كالدرفس [١] في الوغى[٢] والمثاور[٣] الذي ليس له ند، والبطل الذي لا يقارع ، وهو ذريعة[٤] أحاديث رسول الله ﷺ إلينا ومحواتها، وهو الذى أرَّض [٥] اسمه بين ثنايا كتب الحديث، وفي أحضان كتب التاريخ، واجتمع العلماء على عظيم علمه، وحفظ حفظه، وقدرته على استيعاب أحاديث رسول الله ﷺ فقال عنه الإمام الشافعي ...

أبو هريرة أحفظ من روى الحديث فى دهره [٦].

---

(١) الدرفس: الراية التى ترفع في الحرب.

(٢) الوغى: الحرب.

(٣) المثاور: المحارب.

(٤) ذريعة: وسيلة .

(٥) أرَّض: أى مكن جذوره ، كناية عن التمكين

(٦) ابن كثير في البداية والنهاية الجزء الثامن ص ٤٥٧ ، المجلد الرابع ، دار التوفيقية للتراث،وكذلك ذكر الذهبي في كتاب سير أعلام النبلاء، وكذلك ابن الأثير في أسد الغابة.

وقال عنه ابن الأثير: "صاحب رسول الله ﷺ وأكثرهم حديثاً عنه"[١].

وقال هو نفسه :- "ما من أحد من أصحاب النبى ﷺ أكثر حديثاً عنه منى، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو ، فإنه كان يكتب ولا أكتب"[٢].

وقال عنه البخارى:- " روى عن أبي هريرة أكثر من ثمان مئة رجل من صاحب وتابع" [٣].

وهذا الإجماع ليس إلا من عظيم فضله، ولكن تبقى الأعجوبة التي تتعجب منها الأعاجيب إذ أن رجل بهذا الفضل وقد كرمه الله بهذا المقدار من إجماع العلماء على علمه والثناء عليه هو نفسه الذى اختلف العلماء على اسمه إختلافاً يكاد يكون فيه شبه إجماع كأنه شخص مجهول؛ فقال – احمد بن حنبل – اسمه: عبد الله بن شمس

وقال – يحيى بن معين: اسمه : عبد شمس[٤]، وكذلك قال أبو نُعيم. وتواترت عنه الروايات فقيل عنه أنه: سكين بن دومة [٥]

وقيل أيضاً انه : بُرير بن عشرقة [٦] ، وقيل: عبد غنم.

---

(١) ابن الأثير فى أسد الغابة ٦/٣٠٠ رقم ٦٣٢٦ ، المكتبة التوفيقية.

(٢) أخرجه البخاري فى صحيحه ص ٢٦ حديث ١١٣.

(٣) ابن الأثير فى أسد الغابة ٦/٣٠٠ رقم ٦٣٢٦ ، مرجع سابق .

(٤) ابن الأثير فى أسد الغابة ٦/٣٠١ رقم ٦٣٢٦ ، مرجع سابق .

(٥) ابن الأثير فى أسد الغابة ٦/٣٠٠ رقم ٦٣٢٦ ، مرجع سابق .

(٦) ابن الأثير فى أسد الغابة ٦/٣٠٠ رقم ٦٣٢٦ ، مرجع سابق .

كما قال أبو هريرة عن نفسه :-

"كان اسمى في الجاهلية:- عبد شمس . فسماني رسول الله ﷺ في الإسلام عبد الرحمن، وإنما كُنيت بأبي هريرة لأني وجدت هرة فحملتها في كمي ، فقيل لى: انت أبو هريرة" (١)

عن الترمذي قال:- حدثنا احمد بن سعيد المرابطي ، حدثنا روح بن عبادة، حدثنا أسامة بن زيد، عن عبد الله بن رافع قال:- قلت لأبي هريرة:- لم اكنيت بأبي هريرة؟ قال:- أما تفرق مني؟ قلت:- بلى، والله إني لأهابك. قال:- كنت ارعى غنم أهلي، وكانت لي هريرة صغيرة، فكنت أضعها بالليل فى شجرة، فإذا كان النهار ذهبت بها معي، فلعبت بها، فكنوني أبا هريرة.

وكنى بها وغلبت كنيته اسمه فذكر بها ونسب علمه إليها وغاب اسمه حتى ما وضع العلماء أيديهم على صحته وما صار يُذكر إلا بأبي هريرة حاله كحال أبي بكر، وأبي ذر الغفاري، وأبي دجانة... فقلما تجد من يعرف أن أبا بكر الصديق اسمه : عبد الله بن عثمان بن عامر ويصعب أن تربت يداك على من يعلم أن: أبا ذر اسمه: جُندب بن جُنادة وضن أن تعثر على من يتذكر أن : أبا دجانة اسمه: سماك بن خرشة.

فمهما كان ذكرهم باللقب أو بالاسم أو بالكنية. فهذا ليس بالأمر الذي يستحق الوقوف عليه، لكن المؤكد أن أعمالهم الخالدة التى

---

(١) ابن الأثير فى أسد الغابة ٦/٣٠١ نقلاً عن ابن اسحاق، المكتبة التوفيقية.

شُنت[١] على الدهر، فألبسته ثيابها ولونته بألوانها؛ فأضفت على الدنيا بهجة، وعلى الحياة لذة، وجعلت للتاريخ رونقاً، وللدهر زينة، فأورثونا إرثاً ما حافظنا عليه. فقد سلموا لنا الراية تصطفق[٢] برياح الإسلام، لتلقي بالفئ [٣] الذى حجز اللظى[٤] على أرضٍ أمتدت من الاندلس (أسبانيا والبرتغال) حتى تركيا ومن كاشغر بالصين حتى سريلانكا، ولولا هزيمة البطل القائد المغوار: عبد الرحمن الغافقي في بلاط الشهداء[٥] لانصاعت: أوروبا. كلها لراية الإسلام.

---

(١) شنت: أى ألقت في أماكن متفرقة، منها قول شن الغارة.

(٢) تصطفق: أى ترفرف

(٣) الفئ: ما أخذه المسلمون بلا قتال . منها قوله تعالى : " ما أفاء الله على رسوله ". والمراد به هنا: الظل.

(٤) اللظى: النار: منها قوله تعالى : " فأنذرتكم ناراً تلظى".

(٥) بلاط الشهداء هى معركة خاضها المسلمون بالقرب من مدينة بواتيه الفرنسية عام ١١٤هـ بقيادة والى السملمين بالأندلس عبد الرحمن الغافقى ضد قوات الفرنجة بقيادة شارل مارتن وانتهت بانتصار الفرنجة ومقتل بعد الرحمن الغافقي، قيل عنها بأنها لولا تكالب المسلمون على الغنائم لما هزموا، كما قالت مصادر أوروبية بأنه لو انتصر المسلمون فى هذه المعركة لأصبحت أوروبا كلها تحت راية الإسلام.

نسبه

لم يكن: أبو هريرة من بني مخزوم فكانت قبيلته تفج بالعظماء كخالد بن الوليد، وعكرمة بن أبي جهل، والحارث بن هشام. ولم يكن من بني تيم بن مرة، ليتفاخر بعظماء قبيلته كأبي بكر الصديق، وعبد لله ابن الجدعان. ولم يكن من بني عدي بن كعب ليُلطخ بشرف الدهر. إذ أن من قبيلته: عمر بن الخطاب، وسعيد بن زيد، ونُعيم النحام بن عبد الله.

ولم يكن أحد بطون قريش وهم أعلى العرب مكانة، وأجملها منزلة، وأروعها مظهر، فيتفاخر بأنهم أوسط العرب داراً، وبأن القرآن نزل فيهم، وأن الحجاج يسيرون إليهم ليأدوا فريضة الحج، وأن النبوة خرجت منهم فكانوا خيار العرب، ومن بينهم هاجر المهاجرون ليصبحوا أهل السبق في الإسلام. لم يكن نسب أبى هريرة إلى أي من هؤلاء، ولم يكن من ذوي النسب الأشم [١]، وإنما صارت الكتب تعلو بالانتساب إليه ، وتتجمل بذكر اسمه بين طياتها، وتقمم [٢] بالحديث عنه، فبه تدحض الغلة[٣] ، فكان ذكره كالعسجد[٤] وسيرته اللُّجين [٥].

---

(١) الأشم: العالي.

(٢) تقمم: تصل للقمة.

(٣) الغُلة: الحاجة

(٤) العسجد: الذهب.

(٥) اللُّجين: الفضة الخالصة.

وكنا قد ذكرنا الاختلافات على اسمه قبل الإسلام، لكن لم تصل إلينا رواية أخرى لتطارح اسمه بعد الإسلام سواء تلك التي تروي أنه: عبد الرحمن بن صخر بن سليم بن فهر بن غنم بن دوسي اليماني[١].

ولأبي هريرة أخ يسمى: كريم، وكان خاله: سعد بن صبيح ابن الحارث الذي كان يقتل كل من يقع تحت جضض[٢] سيفه من قريش انتقاماً لقتل: هشام بن المغيرة (الذي كانت قريش تؤرخ بموته وهو الذي قادهم فى حرب الفجار) لأبي أزيهر الدوسي [٣] وبهذا يكون: أبو هريرة . قدوة لمن ليس له علو نسب ، فيحتذى به ليعلو نسبه، فلو لم يكن: أبو هريرة دوسي. فمن كان سيذكر قبيلة: دوس . إلا مجرد اسم عابر يُطرح أو ما كان من أعمال: الطفيل بن عمرو الدوسي.

لكن: أبا هريرة. أضاف إلى قبيلته اسم طما[٤] باسمهم في كتب النسب، وأضافت أعماله إليهم ذكر ارتفع به ذكرهم وبعد ذكر ما سبق وتحليل ما هو آت ذكره يمكن القول: إن أبا هريرة العزيز الذي أعز الله به قومه، والتقى الذي به اتقت السنة تجرأ الكاشح [٥] على عظيم شأنها.

---

(١) ورد فى أسد الغابة ٦/٣٠٠ إن دوس اليماني من دوس بن عدنان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن مالك بن نصر بن الأزد.

(٢) جضض: حد السيف.

(٣) ابن حزم الأندلسي في كتابه جمهرة أنساب العرب صـ ٣٦٠.

(٤) طما: أى ارتفع.

(٥) الكاشح: العدو المبغض.

أخلاقــه

كان أبو هريرة باراً بأمه حتى أنه ماسكن وما استراح حتى أسلمت ولما أسلمت لم يفارقها حتى توفت.

أبصر رجلين يوماً فقال لأحدهما: ما هذا منك ؟ - فقال أبي–

فقال:- لا تسمه باسمه، ولا تمش أمامه، ولا تجلس قبله ". [١]

وكان حليماً محباً لآل بيت نبيه، ومتحرياً لسنته باراً بأصحابه حتى أنه بعدما اشتد عليه عمر بن الخطاب في الحساب بعد أن عزله من إمارة البحرين ثم أغلظ له في القول ونزع منه أمواله لم يزد أبو هريرة على أن قال: (اللهم أغفر لأمير المؤمنين [٢])

ونحن لا نذكر هذه القصة كتقليل من شأن أي من هذين العظيمين اللذين يكفي ذكرهما لترتجف لهما الأرض وتخفق لهما الجوارح وسنوضح فيما بعد ما هو سبب هذه المطارحة ولكن ما نريده من ذكر هذه القصة توضيح مقدار حلمه، إذ أن طبيعي جداً لمن صبر وتحمل كل هذه الأفداح[٣] أن يكون حليماً.

---

(١) رواه البخاري فى كتابه الأدب المفرد صـ ٢٢ حديث رقم ٤٤، دار الحديث للنشر والتوزيع.

(٢) ابن سعد فى كتابه تهذيب طبقات الصحابة ص ٣٤١، مطبوعات الهيئة العامة لقصور الثقافة.

(٣) الأفداح: الأثقال ، يقال فدحه الحمل: أى أثقله.

ولما كان الصيام يفغم [١] العبد بالصبر والحلم؛ فأصبح طبيعي لمن تذوقت بطنه العيلة[٢] ، وما شكت يده الحفف كل هذا الوقت أن يكون حليماً.

ومن أعظم ما ذكر لنا من القصص التي توسق [٣] بين جوانحها توضيح مقدار حلمه، تلك القصة التي تروى:

إن زنجية كانت له فأرقتهم بصنيعها فرفع عليها السوط يوما ثم قال: (لولاً القصاص يوم القيامة لأغشينك به، ولكن سأبيعك ممن يوفيني ثمنك أحوج ما أكون إليه، إذهبي فأنت حرة لله ﷻ) [٤].

وكان أبو هريرة (رضي الله عنه) مرحاً يظهر عليه جانب الهزر حتى انه رأى الصبية يوماً يلعبون في الليل لعبة الغراب، فتسلل بينهم وهم لا يشعرون، فألقى نفسه بينهم، وضرب برجليه الأرض (كأنه مجنون) يريد أن يضحكهم، ففزع الصبيان منه وفروا وهم يضحكون. وهذه القصة كما أنها تبين جانب الهزر في شخصيته فإنها أيضا توضح مدى تواضعه

---

(١) يفغم: يملأ أو ينشر، يقال أفغمه بالطيب: أى دهنه .

(٢) العيلة : الفقر.

(٣) توسق: تحوي، منها قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴾

(٤) ابن كثير في البداية والنهاية ص ٤٦٣ الجزء الثامن ، دار التوفيقية للتراث ، وكذلك ذكر أبو نعيم الأصبهاني في كتابه حلية الأولياء ص ٣٨٤ الجزء الأول.

حيث أنه لم تمنعه قيمته كأسطون [١] العلم، وكصحابى سرط [٢] أغلب بحر علم رسول الله وحده حتى بلحت[٣] آباره عند غيره ولا مكانته كراوية الإسلام. على فعل مثل هذا الأمر.

ومما يروى عن تواضعه أيضاً أنه عندما استخلفه : مروان. على المدينة ركب: أبو هريرة . حماراً وقد شد عليه برذعة وفي رأسه خلبة من ليف، يسير فيلقي الرجل فيقول" (الطريق قد جاء الأمير) [٤].

ولما كان: أبو هريرة ملازماً لرسول الله ﷺ أصبح منطقياً أن يختضب[٥] من نوره قبس، وأن يضمخ [٦] من حسن خلقه، وأن تصيبه شُدف [٧] من مكارم الأخلاق، وأن يصيب نهشة من الأخلاق النبوية.

فقد روى بكر بن أبي رافع عن أبي هريرة ﷺ: أن النبىﷺ لقيه فى بعض طرق المدينة وهو جنب فانخنس منه، فذهب فاغتسل، ثم جاء فقال. أين كنت يا أبا هريرة؟

---

(١) اسطون: الجهبذ في العلم.

(٢) سرط: الشئ أي ابتلعه، ومنه سمي السراط لأنه يبتلع الناس.

(٣) بلحت: جفت.

(٤) ابن كثير في البداية والنهاية ص ٤٦٤ الجزء الثامن ، دار التوفيقية للتراث.

(٥) يختضب: يصبغ، يقال: اختضب بالحناء : أى صبغ بها.

(٦) يضمخ: يدهن.

(٧) شُدف: قطع، مفردها شدفة أى : قطعة .

قال: كنت جنباً، فكرهت أن أجالسك وأنا على غير طهارة .

فقال: سبحان الله، إن المسلم لا ينجس [١]

فكان هذا من حسن سريرته أنه زجر[٢] نفسه عن التطيب بمجالسة النبىﷺ جنباً.

ومن هذا الحديث يتضح لنا أن النبى ﷺ ناداه: أبا هريرة، رغم أن أبا هريرة كان يطلب من أصحابه أن ينادوه: أبا هر

كما ورد فى صحيح البخاري(كتاب الأطعمة) أن رسول الله ﷺ ناداه: أبا هر. ولعله حببت إليه هذه الكنية بعدما تشرفت بأن خرجت من بين ثنايا المصطفىﷺ.

---

(١) البخاري فى صحيحه ص ٤٥ حديث رقم ٢٨٣

(٢) زجر: نفسه أى كفها ومنعها.

وقد كان من حب أبى هريرة للنبى ﷺ أنه كان من النبىﷺ يوماً أن رفع الدرة ليضربه بها، فقال أبو هريرة: "لأن يكون ضربني بها أحب إلى من حمر النعم، ذلك بأني أرجو أن أكون مؤمناً، وأن يستجاب لرسول الله ﷺ دعوته"[١]

ويقصد بذلك الدعوة التي دعاها النبى قبل وفاته[٢].

ولكن المغزي من هذا الأمر أن أبا هريرة شك بإيمانه وهو الذي دعا له النبى ﷺ فقال : " اللهم حبب عُبيدك هذا وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحببهم إليهم" [٣] فكيف من جُعل حبه علامة من علامات الإيمان ألا يكون مؤمناً ؟! ولما بزخ [٤] حب النبىﷺ فى قلب أبى هريرة. سُجرت[٥] جوارحه شوقاً لكل ما يحبه، وقد كان هذا هو حال الصحابة ، إذ أن أنس

---

(١) ابن كثير في البداية والنهاية ص ٤٥٦ الجزء الثامن ، دار التوفيقية للتراث.

(٢) ذكر مسلم في صحيحه ص ٩٤٣ حديث رقم ٢٦٠١ عن أبى هريرة إن رسول الله ﷺ قال:" إنما محمد بشر أغضب كما يغضب البشر وإنى قد اتخذت عندك عهداً لن تخلفنيه، فأيما رجل من المسلمين آذيته أو شتمته أو جلدته فاجعلها له قربة تقربه بها عندك يوم القيامة"، كما ورد في صحيح البخارى ص ٧٥٥ حديث رقم ٢٣٦١ إن رسول الله ﷺقال: أيما مؤمن سببته فاجعلها له قربة ".

(٣) ابن كثير في البداية والنهاية ٨/٤٥٦ .

(٤) بزخ: ارتفع.

(٥) سُجرت: أى فاضت، منها قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ۝٦ ﴾.

بن مالك قال:- " رأيت النبي يتتبع الدُّباء من حوالي القصعة. قال: فلم أزل أحب الدُّباء من يومئذ" [١] فكان حتماً على أبي هريرة أن يحب كل ما يحبه النبيﷺ وأن يحب آل بيته لحبه فكشف يوماً عن بطن : الحسن بن علي وقال:_ " أرني أقبل منك حيث رأيت رسول الله ﷺ يُقبل وقبل سرته"[٢] .

وأبو هريرة هو الذى قال:- خرج النبى ﷺ فى طائفة النهار لا يكلمنى ولا أكلمه حتى أتى سوق بنى قينقاع فجلس بفناء فاطمة فقال :- " أُثم لُكع ؟ أثم لُكع؟ " فحبسته شيئا فظننت أنها تلبسه سخاباً أو تغسله فجاء يشتد حتى عانقه وقبله وقال:- " اللهم أحبه ، وأحب من يحبه" [٣] فإذا كان هو الذي روى الحديث فكيف لا يُقبل من الحسن حيث رأى النبي يقبله؟! وإذا كان هذا حاله مع الحسن، وشدة حبه للحسين، فلا غرو[٤] أن يلتحم عضده بعضدهم مع: عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ليدفعوا الأذى عن عثمان بن عفان ﷺ ، ولا غرو أن يلتحم ساعده بساعدهم ليصدوا تلك الضربات التي تجرأت على من استحي منه رسول اللهﷺ .

---

(١) البخاري في صحيحه ص ٢٤٥ حديث رقم ٢٠٩٢، دار ابن الجوزي.

(٢) الإمام أحمد فى مسنده حديث رقم ٧٤٥٥.

(٣) البخارى فى صحيحه ص ٢٤٩ حديث رقم ٢١٢٢ .

(٤) لا غرو: أى لا عجب .

شجاعته

لم يكن: أبو هريرة. قائداً مغواراً لا يخسر المعارك ويقود الجحافل لينفر بها على أعداء الإسلام فيدمغهم كخالد بن الوليد، ولم يكن بالرجل الذي يخترق الصفوف فيبرق المعمعة[١] بوميض الصمصام[٢] ليشتر[٣] رقاب الأعداء كالبراء بن مالك، ولم يكن بالذي تعد قوته بألف رجل كالزبير بن العوام[٤] ولم يكن بالغائلة [٥] الذى يغرق الأرض بدهائه كعمرو بن العاص، ولم يكن بالولاج [٦] الذي يوشج[٧] للأعداء المكائد كالمغيرة بن شعبة، و لم يكن بالذي قيل له لا يهزم جيش أنت فيه كالقعقاع بن عمرو[٨].

---

(١) المعمعة: الحرب ، منها قول عنتر: من لبن المعامع قد سُقيت.

(٢) الصمصام: السيف.

(٣) يشتر: يقطع.

(٤) ذكر المتقي الهندى في كتابه كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال: إن عمر بن الخطاب عد الزبير ابن العوام بألف رجل حينما أرسل المدد إلى عمرو بن العاص فى فتح مصر.

(٥) الغائلة: الداهية.

(٦) الولاج : كثير الولوج، أى كثير الحيل.

(٧) يوشج: ينسج

(٨) قال عنه أبو بكر: " لا يهزم جيش فيه القعقاع بن عمرو" وذكر ابن الأثير في أسد الغابة ٤/٣٥٧ رقم ٤٣١٥ إن أبا بكر الصديق قال فيه :- " صوت القعقاع في الجيش خير من ألف رجل".

لم يكن أبو هريرة أي من هؤلاء لكن هذا لم يمنعه الجهاد فى سبيل الله فمنذ أن اسلم، ما تخلف عن غزوة من الغزوات مع رسول الله ﷺ فحضر أكبر المناسبات مع رسول الله ﷺ كفتح مكة ، وغزوة تبوك.

كما كان: أبو هريرة . أحد الذين أوصاهم النبى ﷺ بقتل: هبار بن الأسود. بعد أن قرع [١] السيدة زينب بنت رسول الله أثناء ذهابها من مكة إلى المدينة على ظهرها، وقد كانت حامل فأملصت[٢] .

وقد روى: أبو هريرة ذلك فقال: بعثنا رسول الله ﷺ في بعث، فقال:- "إن وجدتم فلاناً وفلاناً – لرجلين من قريش فأحرقوهما بالنار، ثم قال رسول الله ﷺ حين أردنا الخروج أني كنت أمرتكم أن تحرقوا فلاناً وفلانا بالنار، وأن النار لا يعذب بها إلا الله ﷻ، فإن وجدتموهما فاقتلوهما" [٣]

وقد قيل هذا الحديث في: هبار[٤] ولم يتوقف أبو هريرة عن الجهاد فى سبيل الله حتى بعد وفاة النبى. فعندما استحرت [٥] هوجاء [٦] الردة فى

---

(١) قرع: أى ضرب.

(٢) أملصت: أى أسقطت حملها.

(٣) الإمام احمد فى مسنده صـ ٢١٦.

(٤) ابن سعد في كتابه تهذيب طبقات الصحابة ص ٣٨٨، مطبوعات الهيئة العامة للثقافة.

(٥) استحرت: اشتدت

(٦) هوجاء: الريح المحملة بالتراب.

جزيرة العرب وغمت سماءها بالهيجاء [١]. كان لأبي هريرة نصيب منها فشارك فيها وروى عن ذلك فقال:

(قال عمر لأبي بكر: تقاتلهم وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول كذا وكذا؟ قال: فقال أبو بكر: والله لا أفرق بين الصلاة والزكاة ولأقاتلن من فرق بينهم. قال: فقاتلنا معه فرأينا ذلك رشداً [٢]. وأخرج البيهقي عن أبى هريرة رضي الله عنه أنه قال:- " والذى لا إله إلا هو لولا أن أبا بكر استخلف ما عُبد الله، ثم قال الثانية، ثم قال الثالثة "[٣]. كما أنه شارك في موقعة اليرموك ، وكما ذكرنا من قبل أن : أبا هريرة كان أحد السبعمائة رجل الذين تجمعوا لنصرة عثمان رضي الله عنه ليزاحم: الحسن والحسين وعبد الله ابن عمر وعبد الله بن الزبير ومحمد بن طلحة فى هذا الشرف فكان بين سيدا شباب أهل الجنة واثنين من الأربع عبادلة يقول أبو هريرة رضي الله عنه: " اشترى عثمان الجنة من النبى ﷺ مرتين : حيث حفر بئر دومة، وحيث جهز جيش العسرة " [٤].

---

(١) الهيجاء: الحرب.

(٢) الإمام أحمد فى مسنده صـ ١١٨.

(٣) ذكره السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء ص ٥٩ ، دار الفجر للتراث ، ط ٢ نقلاً عن البيهقي وابن عساكر.

(٤) أخرجه الحاكم ونقل عنه السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء ص ١٢٣، دار الفجر للتراث، ط٢.

ولعل من حرصه على الشهادة روي فقال:

(وعدنا رسول الله ﷺ فى غزوة الهند فإن إستشهدت كنت من خير الشهداء وإن رجعت فأنا أبو هريرة المحررة) [١] .

تلك الرواية تحمل بين طياتها شوق للشهادة ، وهيام نفسً مؤمنة أرقها فراق خالقها للإستشفاء بجنته والإرتواء بلقائه. تحمل بين طياتها أنين قلب ممزق بفراق الأحبة، ومفعج بتمنى الشهادة، حريص على نيل الفضل، قلبٌ زاحم أصدق القلوب فلا ينطق إلا بصدق، ولا ينبض إلا بدقات الفضل التي تجري فيه مجرى الدم.

---

[١] الإمام أحمد فى مسنده حديث ٧١٢٨، وكذلك الحاكم والنيسابوري في المستدرك على الصحيحين حديث ٤٦٢٦ طبعة سنة ١٩٩٨.

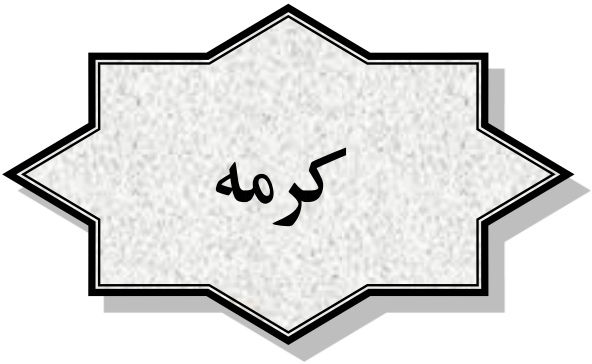
كرمه

عن أبى هريرة (ﷺ) قال: "جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله، أي الصدقة أعظم أجراً ؟ قال: أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان"[١] .

فلما كانت الخشية أحد العوامل التي تمنع الإنسان الصدقة فأصبحت الشجاعة أحد العوامل التى تصنع الكرم، وبذلك يكوم الكرم فرع من شجرة نبتها الشجاعة. ولما كانت الشجاعة أحد صفات أبى هريرة أصبح يبنق[٢] بالكرم. فهو لم ينسَ أنه كان فقيراً فأغناه الله، وكان طالباً للعلم فعلمه الله، وكان أعزب إذ لا يملك ما يتزوج به حتى فكر أن يختصي فأكرمه الله وزوجه: بسرة بنت غزوان . بعدما كان حافداً [٣] لها حافياً عندها، ولم ينسى أن الجوع كان يأكل بطنه فتمنعه عفته على بسط يده وتمنعه طيبة نفسه السؤال حتى ممن قال عن نفسه ﷺ " ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة" [٤].

---

(١) البخاري فى صحيحه صـ ١٧١ حديث رقم ١٤١٩، دار ابن الجوزي للطباعة.

(٢) يبنق: يزين.

(٣) حافد: خادم.

(٤) البخاري فى صحيحه صـ ٥٨٠ حديث رقم ٤٧٨١، دار ابن الجوزي للطباعة وكذلك ذكر ابن كثير في تفسيره ص ٤٦٥ الجزء الرابع نقلاً عن البخاري والإمام أحمد وابن جرير وابن أبى حاتم .

وكانت عفة نفسه هذه عينها هي التى تجبره على أن يصون عفة المسلمين فكان يعطي دون أن يسأله أحد ، ويمنح دون ان تبسط له يد، ويجود دون أن يتحرك إليه لسان .

يقول الطفاوى:

"نزلت على أبى هريرة بالمدينة ستة أشهر، فلم أر من أصحاب رسول الله ﷺ رجلاً أشد تشميراً، ولا أقوم على ضيف من أبي هريرة " [١].

يقول : أبو عثمان النهدي:

" تضيفت أبا هريرة سبعاً فكان هو وامرأته وخادمه يتعقبون الليل أثلاثاً " [٢] .

ويبدو أن نفس: أبى هريرة لا تقبل بأن يخلو بيته من كرم أو صلاة فقد ورد إلينا أنه كان يقسم الليل أثلاثاً أيضاً مع زوجته وبنته في قيام الليل كما سنوضح.

وقد وضحنا ما سبق لنوضح كرم أبي هريرة، ولكن ما سبق ليس الوبق[٣] . فأعظم ما ورى عن كرمه ذاك الموقف الذي تجاوز كل حدود الكرم واخترق كل صفوف التصديق ليسدل علينا ذاك التعجب فقد

---

(١) الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء ٤٢٨/٢.

(٢) الأصبهاني في كتابه حلية الأولياء ٣٨٣/١

(٣) الوبق: الهلاك، منها قول النبى ﷺ: "اجتبنوا السبع الموبقات" والمقصود بها هنا: النهاية.

حكى أبو الزعيزعة كاتب مروان بن الحكم فقال: " بعث مروان إلى أبي هريرة بمائة دينار، فلما كان الغد بعث إليه: إني غلطت ولم أردك بها، وإني إنما أردت غيرك، فقال أبو هريرة: قد أخرجتها فإذا خرج عطائي فخذها منه. وكان قد تصدق بها وإنما أراد مروان اختباره " [1] .

ولولا أن أبا هريرة اشتهر بكرمه لما حاول مروان إختباره ، ولولا أن تلك الشهرة طغت وطمت وسطعت لما ضيق خناق الإختبار لهذا الحد فيرسل له عطاء ثم ما يلبث أن يأتيه الغد وكأن الأمر الطبيعي لأبي هريرة أنه اعتاد ألا يترك أموال في بيته منذ أن كان يمكث أيام تلو الأيام لا يأكل طعام .

كما يبدو أيضاً أنه جُبل على الكرم منذ قبل الإسلام، فمنذ اللحظات الأولى لإسلامه ونطق الشهادة بلسانه وقبل أن يتجرع حلاوتها قلبه كان قد أعتق غلام له فرحاً بما أصاب وهذا لا يحدث إلا لمن حُمل بصهاريج الكرم.

---

[1] ابن كثير في البداية والنهاية الجزء الثامن ص ٤٥٧، دار التوفيقية للتراث..

إسلامـه

كان العرب قبل الإسلام عبارة عن قبائل تعيش على سَرَط [١] الأخرى وأشخاص تحيي على سبي آخرين ولما استحر القتال بينهم في أشده وحالت بين رغباتهم الأشهر الحرم أبتكروا النَّسِيءَ[٢]. ليستحلوا القتال فيهم ليطمسوا بذلك آخر ما تبقى من شريعة سيدنا إبراهيم عليه السلام ثم تمادوا أكثر من ذلك حتى بلغوا الفُجر بالأشهر الحرم ليصنعوا حروب الفجار وكانت الأمور قد بلغت ذروتها قبل ظهور الإسلام فقيل:

(لو لم يظهر الإسلام لأكلت بنو تغلب العرب) [٣] .

ثم بعث الله إليهم محمداً ﷺ ليضع حداً لكل هذا وليُستر العالم العربى بالإسلام الذى ينبع منه السلام فأصبح حالهم غير الحال وصُنعهم غير الصُنع فصاروا خيار الناس وبهم ساد الإسلام العالم.

ففى أيام كان يتبدل حال الرجل منهم من حال إلى حال فكان عمر أشد الناس عداوة للإسلام ثم أصبح المُلهم عمر وأمير المؤمنين والفاروق.

وكان : حمزة بن عبد المطلب رجل يمكث أغلب وقته على الصيد فأصبح: أسد الله.

---

(١) سرط: أى أبتلع، يقال سرط الطعام : أى أبتلعه.

(٢) النسئ: كانوا يحرمون للناس صفر عام، ويحرمون محرم عام . وهذا تفسير قوله تعالى { إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ } التوبة الآية ٣٧.

(٣) الجاحظ فى كتابه الحيوان.

فالإسلام بدل حال العرب، والعرب بدلوا حال البشرية، وبدل حال الصحابة ليظهر منهم من يبدل حال الإنسانية وكان من بين هؤلاء: أبو هريرة. فأبو هريرة قبل الإسلام يكاد يكون بلا ذكر ثم صار ملء الأذكار، ومن رجل لا يُعرف عنه شئ إلى رجل يعرفه كل شئ.

وبدأت قصة إسلام أبي هريرة من حيث انتهت قصة إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي وتبدأ القصة كما يلى:-

كان الطفيل رجل ذو مكانة عند قومه وصاحب منزلة بينهم وكانت قريش تعرف له هذا فعندما علموا بقدومه إلى مكة بعد نبوءة النبى ﷺ سارعوا إليه ليسبقوه قبل أن يسبقهم إلى رسول الله ﷺ فانطلق إليه رجال منهم فقالوا له: " إنك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذي بين اظهرنا قد أعضل بنا ، وفرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وأخيه وبين الرجل وزوجته، وإنا نخشى عليك وعلى قومك مثل ما دخل علينا فلا تكلمه ولا تسمع منه، ومازالوا به حتى زحزحوه إلى الشك ثم زجوا به إلى الزكانة[1] ومنها طوقوه بالتصديق الكامل لهم حتى أنه وضع على أذنه قطنتين وجلاً [2] من أن يسمع كلام الله فكان يقال له: ذو القطنتين.

---

(١) الزكانة: الشك الذى يصل إلى اليقين.

(٢) وجلاً: خوفاً، الوجل: هو الخوف منها قوله تعالى: " ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ " سورة الحج آية ٣٥.

ويصف الطفيل هذا الحدث فيقول:-

" فوالله مازالوا بى حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئا ولا أكلمه فغدوت إلى المسجد وقد حشوت أذني كُرسُفاً (قطن) فرقا من أن يبلغني شئ من قوله حتى كان يقال لى: ذو القطنتين . [١]

وبالرغم من أن الطفيل رجلاً عاقلاً لكنه خنس[٢] عقله برهة ولم يراعي أنه ما كان يجب لعقله أن يسمع ممن عقولهم عنهم صدفت فكاد أن ينخنس عن نور الإسلام لولا أن قدرة القدير قدرت المقادير فكنفته بعطفها ورمقته بعين الرحمة فبعدما عزم وأشتد عزمه على عدم السماع للنبى (ﷺ) ذهب الطفيل إلى الكعبة، وإذا برسول الله ﷺ يصلي فسمع كلامه فأعجب به ففاح عطر الإسلام بقلبه ليستنشقه عقله فيطمئن له صدره فذهب مع الرسول الكريم إلى داره فعرض عليه الإسلام وتلا عليه القرآن فقال الطفيل:- " لا والله ما سمعت قولاً قط أحسن من هذا ولا أمراً أعدل منه فأسلمت وشهدت شهادة الحق، فقلت:

يا نبى الله إنى أمرؤ مطاع في قومي وأنا راجع إليهم فداعيهم إلى الإسلام فادع الله أن يكون لى عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه فقال :- اللهم

---

(١) ابن سعد في كتابه تهذيب طبقات الصحابة ص ٢١٦، مطبوعات الهيئة العامة للثقافة.

(٢) خنس: ذهب، منها قول ابى هريرة : " انخنست منه".

اجعل له آية . قال: فخرجت إلى قومي حتى إذا كنت بثنية تطلعني على الحاضر وقع نور بين عيني مثل المصباح وكأن نور الإسلام طما بقلبه حتى فاض بين عينيه فأصبح مصباحاً يضئ فجعل صوة [١] لهتدي بها أصحاب الألباب ممن بصرتها بصيرتهم وأيقنتها أبصارهم لولا أن الطفيل ما أراد ذلك فدعى الله قائلاً:_

" اللهم فى غير وجهي فإني أخشى أن يظنوا إنها مثلة وقعت في وجهي لفراق دينهم فتحول النور فوقع في رأس سوطي فجعل الحاضر يتراءون ذلك النور فى سوطي كالقنديل المعلق" [٢] وعز على الطفيل أن يحجب هذا النور عن قبيلته فأخذ يدعهم للإسلام فيقول:-

" أتاني أبي فقلت له إليك عني يا أبتاه فلست مني ولست منك، قال ولم يا بنى؟

قلت إنى أسلمت واتبعت دين محمد،

قال:- يا بني ديني دينك .. قال: فقلت: " اذهب فاغتسل وطهر ثيابك ثم جاء فعرضت عليه الإسلام فأسلم ثم أتتني صاحبتي فقلت لها:- " إليك عني فلست منك ولست مني

---

(١) صُوة : الحجارة توضع على الطريق لهتدي بها الناس. ج: صُوىً ، في الحديث الشريف" إن للدين صُوىً ومناراً كمنار الطريق".

(٢) ابن سعد في كتابه تهذيب طبقات الصحابة ص ٢١٦، مطبوعات الهيئة العامة للثقافة.

قالت ولم بأبي أنت.

قلت: فرق بيني وبينك الإسلام وأني أسلمت وتابعت دين محمد(ﷺ)،

قالت:- فديني دينك،

قلت: فاذهبي إلى حسي ذى الشرى (صنم دوس) فتطهري منه،

فقالت: - بأبي أنت أتخاف على الصبية من ذي الشرى شيئا؟

قلت:- لا أنا ضامن لما أصابك ،

قال:- فذهبت فاغتسلت ثم جاءت فعرضت عليها الإسلام فأسلمت ولم يكتفي ذا النور بذلك وراح ليدعو قبيلته لذاك النور الجديد لينقذهم من الطخية [١] التي كانت قد غشيتهم ثم أكمل قائلاً: -

" ثم دعوت دوساً إلى الإسلام" [٢]

وبذلك برق نور الإسلام أرض دوس فأصاب منه من أصاب وأخفق من أخفق وكان من أوائل الذين اغتنموا هذا النور هو أبو هريرة حيث خفش [٣] النور بصره فأدرك قلبه ليوصم عليه إلى الأبد ويكون بداية ولادة رجل مخلد الاسم في التاريخ، معظم الشأن بين الأمة.

---

(١) الطخية: الظلمة الشديدة ، يقال: ليلة طخواء: أى مظلمة بشدة.

(٢) ابن سعد في كتابه تهذيب طبقات الصحابة ص ٢١٦، مطبوعات الهيئة العامة للثقافة.

(٣) خفش: النور حينما يصيب البصر بعمى مؤقت.

وبذلك التئمت يمنى: الطفيل. مع يسرى: أبى هريرة . ليعملا معا على نشر الدعوة ولما طال الدهر ويأس الطفيل من قومه ذهب إلى رسول الله (ﷺ) وكان وقتها النبى بمكة ولم يهاجر بعد، فقال: (يا رسول الله قد غلبتني دوس فادع الله عليهم) . فقال النبى: (اللهم اهد دوس) ثم قال له النبى: اخرج إلى قومك فادعهم وأرفق بهم [1] فعاد الطفيل إلى قومه ومكث مع أبى هريرة يدعو قومه مما أقصاهما عن كثير من المشاهد التى شهدها المسلمون فحُرموا حلاوة الانتصار فى بدر، ولذة الحمد لحظة الإنكسار في أحد، وجمال الصبر في الخندق، وشرف المبايعة في الرضوان. ثم لحقوا بالمسلمين وكان عددهم قد بلغ سبعين أو ثمانين بيتاً فلما قدموا المدينة كان النبى(ﷺ) قد خرج بالجيش إلى خيبر.

وكانت غزوة خيبر فى محرم عام ٧ هـ واستمر الفتح ما يقرب من ثلاثين يوم، مما يعني أن وصول: أبا هريرة والطفيل وأهلهما إلى المدينة كان في ما بين محرم وصفر عام : ٧ هـ .

---

(١) ابن سعد في كتابه تهذيب طبقات الصحابة ص ٢١٦ وفى رواية أخرى للبخارى في صحيحه حديث رقم ٦٣٩٧ إن رسول الله ﷺ قال " اللهم اهدي دوس وآت بهم ".

يقول أبو هريرة:

(خرج النبى (ﷺ) إلى خيبر، وقدمت المدينة مهاجراً، فصليت الصبح خلف سباع بن عرفطة كان النبى قد استخلفه على المدينة فقرأ في السورة الأولى سورة " مريم " وفي الآخرة " ويل للمطففين " فقلت فى نفسي: ويل لأبى فلان، لرجل كان بأرض الأزد، وكان له مكيالان، مكيال يكيل به لنفسه، ومكيال يبخس به للناس) [١] .

ثم أن : أبا هريرة. ذهب إلى النبى (ﷺ) لينطق بالشهادة بين يديه فلما قدم إلى المصطفى(ﷺ) جاءه غلامه بعدما كان فُقد في الليلة التي أجتمع في صبيحتها برسول الله (ﷺ)، فقال أبو هريرة للنبى: هو حر لوجه الله وأخذ ينشد :

ياليلة من طولها وعنائها على أنها من دارة الكفر نجت[٢]

وبذلك يكون : أبو هريرة ذاك الرجل حديث الإسلام الذى صار بعد ذلك للإسلام وعاء الحديث .

---

(١) ابن كثير في كتابه البداية والنهاية ص ٤٥٩ الجزء التاسع ، دار التوفيقية للتراث. كذلك الذهبى في كتابه سير أعلام النبلاء.

(٢) البخارى فى صحيحه كتاب العتق ص ٢٩٦ حديث ٢٥٣٠، دار ابن الجوزى.

إسلام أمه

أسلم: أبو هريرة. ورفع راية الهجرة إلى المدينة مع الذين أسلموا من قبيلته. وكانت أم أبي هريرة [١] بصحبته على الرغم من عدم إسلامها حتى ذلك الوقت ويبدو أن الرابطة القوية بينه وبين أمه سمحت لها بصحبته على الرغم من اختلاف عباءة كل منهم ويبدو أن هذه الرابطة كانت تفوق معنى الحب. فهو الذى روى حديث رسول الله (ﷺ) حين سأله رجل. فقال: ما تأمرني؟ قال: بر أمك، ثم عاد فقال: بر أمك، ثم عاد فقال: بر أمك ثم عاد الرابعة فقال: بر أمك ، ثم عاد الخامسة فقال: بر أمك."[٢]

كما أنه ضن على نفسه أن يحج ويترك أمه فلازمها حتى ماتت وكان باراً بها فلا يأكل إلا بعد أن يمسك لها قوتها ولعل من أجمل ما ذكر تلك القصة التى يرويها فيقول: (كنت فى سبعين رجل من أهل الصفة ما منهم رجل عليه رداء أما بردة أو كساء قد ربطوهما في أعناقهم. ويشتد بهم الألم من الجوع ، فيخرج من بيته إلى المسجد لا يخرجه إلا الجوع فيجد نفراً من أصحاب رسول الله (ﷺ) .

فيقولون : يا أبا هريرة. ما أخرجك هذه الساعة؟

فيقول: ما أخرجني إلا الجوع

---

(١) هى ميمونة بنت صفيح بن الحارث بن أبى الصعب .. كما ورد في البداية والنهاية ٨/٤٥٤ نقلاً عن الطبراني والكلبى.

(٢) أخرجه ابن عساكر صـ ٥١٦ . وكذلك ذكره ابن كثير في البداية والنهاية٨/٤٥٥.

يقول أبو هريرة: فقمنا فدخلنا على رسول الله (ﷺ)

فقال: ما جاء بكم هذه الساعة ؟

فقلنا : يا رسول الله جاء بنا الجوع

قال : فدعى رسول الله (ﷺ) بطبق فيه تمر، فأعطى كل رجل منا تمرتين، فقال: كلوا هاتين التمرتين واشربوا عليهما من الماء فأنهما ستجزيانكم يومكم هذا .

قال أبو هريرة: فأكلت تمرة وجعلت تمرة في حجرتي.

فقال رسول الله(ﷺ) : يا أبا هريرة لم رفعت هذه التمرة؟

فقلت : رفعتها لأمي.

فقال: كلها فإنا سنعطيك لها تمرتين، فأكلتها فأعطانى لها تمرتين[1] وبهذه التصرفات كان: أبو هريرة نعم الابن، ولما كان: مروان يستخلفه فيكون بذي الحليفة، وأمه فى بيت آخر، فإذا أراد أن يخرج وقف على بابها ..

فقال: السلام عليك – يا أمتاه – ورحمة الله وبركاته

فتقول: وعليك يا بني ورحمة الله وبركاته

فيقول: رحمك الله كما ربيتيني صغيراً.

---

(١) ابن سعد فى كتابه تهذيب طبقات الصحابة ص ٣٤٠، مطبوعات الهيئة العامة للثقافة.

فتقول: رحمك الله كما بررتنى كبيراً، ثم إذا أراد أن يدخل صنع مثله فكان نعم الأمير[١] .

وروى أبو حازم أن أبا مرة – مولى أم هانئ بنت أبى طالب- أخبره: أنه ركب مع أبى هريرة إلى أرضه بالعقيق فإذا دخل أرضه صاح بأعلى صوته: عليك السلام ورحمة الله وبركاته يا أمتاه. تقول: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، يقول: رحمك الله كما ربيتنى صغيراً فتقول: يا بنى فجزاك الله خيراً ورضى عنك كما بررتنى كبيراً . [٢]

ولما كان هذا حاله مع أمه فيجوع لجوعها ويتنغص لتنغصها، فلابد أن عدم إسلامها كان يشق جرحاً عميقاً فى قلبه، ورؤيته لأمه دون أن ينقذها من نار الكفر كانت تفطر قلبه مما كان يدفعه إلى محاولة دعوتها للإسلام وكان حبه لها يجعله لا يتوقف عن المحاولة فكان يكرر المحاولة تلو المحاولة حتى أنها تضجرت منه فأسمعته فى رسول الله (ﷺ) ما يكره فذهب إلى النبى وقد أحاط به تلك الشعور الذي ترى فيه ما تُحب يُلقى بنفسه إلى الخبال[٣] فلما تنصحه يزجرك وإذا زجرته سبك وإذا كففته أهان لك كل ما تملك وهو حب رسول الله (ﷺ) فاجتمعت هذه الأمور

---

(١) البخاري في كتابه الأدب المفرد صـ ١٣حديث رقم ١٢، دار الحديث القاهرة.

(٢) البخاري في كتابه الأدب المفرد صـ ١٤حديث رقم ١٤، دار الحديث القاهرة.

(٣) الخبال: الهلاك، منها قوله ﷺ: " من قال فى مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال ". رواه الإمام أحمد ٢/٧٠ رقم ٥٣٨٥.

لتطوق أبا هريرة فما كان منه إلا أن نطفت دموعه [١] وذهب إلى النبى يقول: " يا رسول الله، إني كنت أدعو أم أبي هريرة إلى الإسلام فتأبى على وإني دعوتها اليوم، فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدى أم أبي هريرة إلى الإسلام ففعل" .

فجئت البيت فإذا الباب مجاف وسمعت خصخصة الماء وسمعت حسى[٢] فقالت: كما أنت، فلبست درعها وعجلت عن خمارها، ثم قالت:- " أدخل يا أبا هريرة فدخلت "

فقالت: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله فجئت أسعى إلى رسول الله (ﷺ) أبكي من الفرح كما بكيت من الحزن، فقلت: أبشر يا رسول الله (ﷺ) فقد أجاب الله دعوتك، قد هدى الله أم أبي هريرة إلى الإسلام ثم قلت: - يا رسول الله (ﷺ) أدع الله أن يحببني وأمي إلى المؤمنين والمؤمنات وإلى كل مؤمن ومؤمنة .. فقال رسول الله (ﷺ): " اللهم حبب عبيدك هذا إلى عبادك المؤمنين وحبب إليهم المؤمنين: فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني " [٣]

---

(١) نطفت: قطرت، يقال: سيفه ينطف دماً: أى يقطر.

(٢) حسي: صوتي.

(٣) مسلم فى صحيحه ص ٩١١ حديث رقم ٢٤٩١ كذلك ذكر ابن كثير في البداية والنهاية ٤٥٦ /٨ إن رسول الله(ﷺ) قال:- " اللهم حبب عبيدك هذا وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحببهم إليهم ".

وكذلك روى أبو كثير السحيمي فقال: سمعت أبا هريرة يقول: ما سمع بى أحد يهودي ولا نصراني إلا أحبني: إن أمي كنت أريدها على الإسلام فتأبى فقلت لها فأبت، فأتيت النبي(ﷺ) فقلت: ادع الله لها فدعا، فأتيتها وقد أجافت عليها الباب: فقالت يا أبا هريرة: إني أسلمت فأخبرت النبى(ﷺ) فقلت:- ادع الله لي ولأمي فقال:- " اللهم عبدك أبو هريرة وأمه أحبهما إلى الناس " [١].

وبتلك الدعوة تسحسح[٢] حبه إلى قلب كل مؤمن فمكانته بين أمة الإسلام محفوظة لا يبخسها إلا منافق فهو من نُضار النُضار [٣] من صحابة رسول الله(ﷺ) .

يقول ابن سيرين : كنا عند أبي هريرة ليلة فقال: اللهم اغفر لأبي هريرة ولأمي ولمن استغفر لهما [٤]، يقول ابن سيرين: فنحن نستغفر لهما حتى ندخل في دعوة أبي هريرة . ولما كان هذا حاله، وكانت الدعوة التى دعاها له النبي مقتصرة على المؤمنين أصبح: أبو هريرة بُرجاس[٥]

---

(١) البخارى في كتابه الأدب المفرد ص١٩ الحديث رقم ٣٤ .

(٢) تسحسح: سال، يقال عين سحساحة: أى سيالة للدمع.

(٣) النضار: الخالص من كل شئ، يقال: ذهب نضار: أى ذهب خالص.

(٤) البخارى في كتابه الأدب المفرد ص٢٠ الحديث رقم ٣٧ ، دار الحديث القاهرة .

(٥) بُرجاس: هدف يوضع بمكان مرتفع فيصوب عليه. والمقصود هنا الهدف الذي يتوجه إليه.

لطُغام[١] القوم، فأبو هريرة حاله كحال باقي صحابة رسول الله (ﷺ) إذ أن المنافقين تجرأوا على عثمان (رضي الله عنه) ثم خالد بن الوليد وبعض من صحابة النبى وما زالت أبصارهم تتجرأ على من تستحي منهم البصيرة حتى أن أعينهم خنزرته [٢] فلم يسلم منهم ولم يرحموه فكانوا يلهزونه[٣] بالشولة تلو الشولة[٤] وبالذعاف تلو الذعاف[٥] فلا يزداد إلا قوة، ولعل ذمه من قبل أوباش القوم هو قمة المدح له.

فمهما حاولت أصابعهم أن تتلاعب بين السطور لتشوه تاريخه ومهما حاولت أقلامهم أن تبعد الكلمات عن بعضها لتمحو اسمه فلن يزداد اسمه إلا صلابة في القلوب.

وسيذكر اسم أبا هريرة دوماً مصحوباً بتلك الكلمات : إنه الرجل الذي كتب له القدر أن يتأخر إسلامه ولكنه كتب لنفسه أن يسبق من عنهم تأخر، فسنم بنفسه فبدل العرقلة بهرولة والتأخر بتقدم.

---

(١) طغام القوم: أوباش القوم.

(٢) خنزر: نظر بمؤخر عينه.

(٣) لهز: فلان الرمح أى : ضربه، والمقصود هنا: يضربونه.

(٤) الشولة: اللدغة.

(٥) الذعاف: السم القاتل من لحظتها، يقال موت ذعاف : أى سريع

طلبه للعلم

قسم الله الأفضال بين صحابة رسول الله (ﷺ) فكان أبو بكر صديقاً، وعمر فاروقاً وعثمان حيياً، وعلى باباً للعلم [١]، وخالد سيفاً مسلولاً، والزبير حوارياً [٢]، وأبو عبيدة أميناً للأمة[٣] ، وأبى بن كعب سيداً [٤]، ومصعب بن عمير سفيراً [٥]، ثم دارت الرحى وتقلب الزمان فكتب أبو هريرة اسمه بجوارهم كراوية الإسلام.

فكان أبو بكر هو الذي أعاد الإسلام إلى جزيرة العرب بعد الردة، وعمر حوال بين الحق والباطل، وعلى القاضي الذى قال فيه عمر أعوذ

---

(١) ذكر السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء ص ١٣٧ ، دار الفجر للحديث ، ط٢ عن على قال: - قال رسول الله (ﷺ) :- " أنا مدينة العلم، وعلى بابها" كذلك أخرج الترمذي والحاكم ، وأخرجه الطبرانى في الأوسط عن جابر بن عبد الله.

(٢) أخرج البخارى في صحيحه ص٤٤٢ حديث رقم ٣٧١٩ عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله (ﷺ): " إن لكل نبى حوارياً وحوارى الزبير بن العوام"..

(٣) أخرج البخارى في صحيحه ص٤٤٤ حديث رقم ٣٧٤٤ عن انس بن مالك أن رسول الله (ﷺ) قال:- " إن لكل أمة أميناً وإن أميننا ايتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح ".

(٤) ذكر ابن الأثير فى أسد الغابة ١/٦٤ أن عمر بن الخطاب كان يقول :- " أبى سيد المسلمين".

(٥) ذكر ابن سعد في كتابه تهذيب طبقات الصحابة ص ٤٢ عن البراء بن عازب قال:- " أول من قدم علينا من أصحاب رسول الله (ﷺ) مصعب بن عمير والبراء بن عازب " وبذلك اصبح مصعب بن عمير أول سفير في الإسلام.

بالله من مسألة ليس فيها أبا الحسن[١]، وخالد بن الوليد السيف الذى تسحسحت[٢] به الفتوحات لتعلو راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، وكان عثمان بن عفان هو جامع الناس على المصحف ليزود عن القرآن ما لم يزده قسطنطين ولا من كان قبله عن كتابهم، فوصل كتاب الله بين يدينا خالصاً لا تتخلله ذرة شك ثم جاء صاحب هذا الكتاب متكئاً على قوة عائشة ، وعظمة عبد الله بن عمر، ورجاحة أنس بن مالك ليتحملوا الجزء الاكبر في الدفاع عن السنة وعن أحاديث رسول الله ﷺ. وقد كان أبو هريرة هو اكثرهم رواية، وأقواهم حفظاً، وأقدرهم نشراً للعلم؛ فحظى بالنصيب الأكبر من الهجوم الذى أحكمه عليه أصحاب القلوب المألوسة[٣] والألباب[٤] الذفيفة [٥] لإسقاط السنة من عنقها إذ أنه لو تم التشكيك في أبى هريرة ضُعف الصحيحين، وكُذب الصحابة وشُكك في الفقه، ولأول الفاسقون كُلٌ حسب هواه .

---

(١) ذكر السيوطي فى كتابه تاريخ الخلفاء ص ١٣٧ عن سعيد بن المسيب قال:- كان عمر ابن الخطاب يتعوذ بالله من معضلة ليس فيها أبو الحسن.

(٢) تسحسحت: أى سالت.

(٣) المألوسة: أى أصابها مس من الجنون، ذكر في نهج البلاغة إن الإمام على قال لأهل الكوفة: " فكأن قلوبكم مألوسة" .

(٤) والألباب : العقول.

(٥) الذفيفة: والمقصود هنا.. التى لا تجيد التفكير.

وأبو هريرة هو أحد أهل الصفة حالة كحال: أسماء بن حارثة وهند ابن حارثة، وأهل الصفة هم أكثر أصحاب النبى(ﷺ) فقراً، وهم أصحاب الفاقه[١] التى لا تختع[٢] فكانوا ضيوف على الإسلام إذ تركوا الدنيا وجاءوا مهاجرين ليبايعوا الله ورسوله فكان رسول الله (ﷺ) يطعمهم بنفسه مما أتاح له أن يكون بجوار النبي خاصة أنه كان عريف أهل الصفة فكان إذا أراد النبى (ﷺ) أن يجمعهم لطعام أو لشئ ما ؛ دعى لأبى هريرة يدعوهم لمعرفته بهم وبمنازلهم ومراتبهم[٣] مما أتاح له قرباً من النبى (ﷺ) فكان يقول:

" ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله (ﷺ) كأن الشمس تجرى في وجهه" [٤].

---

(١) الفاقة: الحاجة.

(٢) تختع: تهرب، منها سميت الدنيا : بالخيتعور لأنها لا تدوم لأحد.

(٣) البخارى فى صحيحه ص ٧٤٣ حديث ٦٢٤٦ كتاب الاستئذان عن أبي هريرة ﷺ قال: دخلت مع رسول الله ﷺ فوجد لبناً في قدح فقال: " أبا هر إلحق أهل الُصفة فادعوهم إلىّ.

(٤) الترمذى في كتابه الجامع حديث رقم ٣٦١٠، كذلك ذكر ابن كثير في البداية والنهاية ليوضح صفة النبى ﷺ.

فقد كان النبى (ﷺ) للصحابة شمساً إذا غابت أظلمت حياتهم وبذلك جحا [١] أبو هريرة بين يدي المصطفى وجخا [٢] الدنيا وما ملكت من أجل سطر علم في ذهنه يحفظه فمهما حنقت معضلات الحياة على رقبته الرصين[٣] فكان الجوع يأكل بطنه والفقر يعرق عظامه[٤] فما زاغ بصره عن طلب العلم، فتجده رغم كل هذه الظروف لا يريم مكانه[٥]، فلا يحاول أن ينشغل بتجارة أو زراعة أو أى من أمور الحياة أو حتى انه لم يحاول أن يوفق بينهما (أي العلم والمال). فكان العلم هو شغله الشاغل الذي لا شغل ينشغل به سواه، فحفظ إذ نسى أصحابه، وحضر إذ غاب جلساءه، فقمقم [٦] العلم إذ عجزت آذانهم مجتمعة على قمت[٧] ما حفظ حتى علا شأنه فأرض اسمه بين ثنايا كتب التاريخ .

---

(١) جَحَا: أقام، يقال جَحَا هناك: أى أقام هناك.

(٢) جخا: ركل الشئ بقدمه، يقال : جخا برجله : أى نسف بها التراب.

(٣) الرصين: الثابت المحكم، رصين: من كل شئ الذي استحكم واشتد ثباته والمقصود به هنا الحبل المتين.

(٤) يعرق عظامه : أي أكل ما عليها من اللحم نهشاً بأسنانه.

(٥) لا يريم مكانه: أي لا يبرح مكانه، رام عن الشئ : ابتعد عنه.

(٦) قمقم: أى جمعه ، قمقم العلم: أي جمع العلم.

(٧) قمت : جمع الشئ بنهم، والمقصود هنا: المبالغة في الإجتهاد لجمع العلم.

وأما قصة طلبه للعلم فهي قصة طويلة مجهولة البداية لكنها معلومة النهاية فنحن لا نعلم إذا ما كان أبو هريرة محبا للعلم منذ صغره أم لا لعدم معرفتنا شئ عن حياته قبل الإسلام، ولكن المؤكد لنا هو أنه كان بالعلم فى شغف عن ما سواه وبحبه له غارقاً في بحر يلفظ اللغب[١] إلى الملطاط [٢] لكي لا يسمح لشئ أن يعكر جمال ماءه ويصد علو أمواجه، فكان في طريق طلبه للعلم تروي القصص وفي إصراره على المُضى تُحكي الأساطير، وتُسطر الحكايات.

وعندما تجمع أسلوبه في طلب العلم وطريقة جمعه لأحاديث النبي (ﷺ) وتدقق التفكير في كيفية وصوله للكيفية التى جعلت قلبه طارداً لكل شئ جاذباً للعلم كارهاً للدنيا مُحباً للآخرة، فعندما تجمع هؤلاء معاً ثم تكتب ناتج جمعهم بعد الفذلكة تستنتج سطور ترسم بها خريطة يمكن لطالب العلم أن يسير فى خطاها إذا ما أراد أن يبلغ نهاية كنهايته وعلو كعلوه.

فأبو هريرة صاحب إصرار لا يفل وعزيمة لا تضعف وإرادة لا تنكسر فما أعاقه جوع وما أضعفته قلة حاجة، طاقة من قوة البأس فوجهها إلى

---

(١) اللغب: التعب ، وفي القرآن الكريم قوله تعالى: " وما ماسنا من لغوب". سورة ق : آية ٣٨.

(٢) الملطاط : أى شاطئ البحر.

العلم. فكان رسول الله (ﷺ) يسأله: "ألا تسألني من هذه الغنائم التي يسألني أصحابك؟ فقال: أبو هريرة : أسألك أن تعلمنى مما علمك الله "[١]

فقد كان المال والغنائم منبع تتسابق إليه الأيادي لتقطف منه حتى فيما بين صحابة النبي (ﷺ). فقد روى عن جابر بن عبد الله أنه قال:

" بينما نحن نصلي مع النبى (ﷺ) إذا أقبلت من الشام عير تحمل طعاماً فالتفتوا إليها حتى ما بقى مع النبى إلا إثنا عشر رجلاً.

فنزلت: ﴿ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا ﴾ [الجمعة: ١١] [٢]

فالطبيعة البشرية لابد وأن تُضفي بلونها فى بعض أحيانها ويبقى صانعي التاريخ وعظماء الزمان لا يتلونون ولا تتبدل جلودهم فأهدافهم ثابتة لا يحيدون عنها وإذا لم يكن لهم ما يدفعونه ليبلغوها فإنهم لا يتأخروا على أن يدفعوا حياتهم دفعاً لتقر قلوبهم بما تطيب به الأنفس. وأبو هريرة بالتأكيد أحد هؤلاء العظماء حيث ما سعى يوماً إلى أى مما يسعى إليه البشر بدافع طبيعتهم، وكان حتماً عليه أن يختار إما أن يكون طالب علم أو طالب مال فنبذ الثانية لأجل الأولى، وبذلك اجتمع لأبي هريرة أهم أسباب النجاح ألا وهو: (أركض خلف ما تحب ولا تسمح لشئ أن يوقفك) فأحب العلم وركض خلفه وألقاه الدهر بعقباته فما

---

(١) ذكره ابن كثير في كتابه البداية والنهاية ص ٤٦٢ الجزء الثامن ، دار التوفيقية للتراث.

(٢) البخاري فى صحيحه ص ٢٤٢ حديث رقم ٢٠٦٤.

سمح له أن يوقفه فما كان يخشى العيلة [١] ولا نضيض الوفر[٢] ولكنه كان يذوب رعباً من أن تفوته كلمة قالها النبى (ﷺ) وكلما زاد الولع زادت الجرأة فتجرأ حينما احتجم أصحابه وسأل حينما استحي جلساءه وفي هذا يقول أبى بن كعب:

" إن أبا هريرة كان جريئاً على أن يسأل رسول الله (ﷺ) عن أشياء لا نسأله عنها".

وفى الواقع يتعجب القارئ إذ أن حياء أبا هريرة كان يمنعه من مجالسة النبى جنباً ثم يضمحل حتى تغلبه الجرأة فيسأل عن مالا يسأله غيره والجواب يكمن بين هذه السطور:

(كلما زاد الحب قل الحذر) .

فأحب العلم وأزداد حبه له حتى انعدم الحذر، فكان يسأل بلا حذر فبدا الأمر للمشاهد أنه كثير الجرأة، وجرأته هذه التى تحمل بين طياتها عظيم الشغف بالعلم هي التى دفعته إلى قوله للنبى (ﷺ): (يا رسول الله إنى سمعت منك حديثاً كثيراُ فأنساه) فقال له النبى (ﷺ) "أبسط رداءك"

---

(١) العيلة: الفقر والحاجة، في القرآن الكريم قوله تعالى : " وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله". سورة التوبة : آية ٢٨.

(٢) نضيض الوفر: الفقر

فبسطته فغرف بيده فيه ثم قال: ضمه فضممته فما نسيت حديثاً بعده [1].

وبالتأكيد إن انفراد أبي هريرة بهذا الفضل دوناً عن كل صحابة النبى (ﷺ) كانت نتيجة أدت إلى سبب. فعالم الصحابة امتلأ بالعلماء وطالبي العلم وأصحاب الحب المعلق بكلام الله وأحاديث نبيه، لكن رغم هذا لم يحدث هذا الأمر مع: أبى بن كعب وهو أعلم الأمة بكتاب الله أو معاذ بن جبل وهو أعلم الأمة بالحلال والحرام أو عبد الله بن مسعود أو زيد بن ثابت أو عبد الله بن عباس أو المُلهم عمر أو غيرهم ممن ضج البصر بتلألأهم وامتلأ الفؤاد بأذكارهم وممن تشرفت الأرض بحمل أقدامهم.

فأبو هريرة وحده هو الذي انفرد بهذا الأمر؛ ولكل شئ سبب ولكل نتيجة أسباب قد هيأت لها الحدوث وأحدثت لها ما يجب لأحداثها. فلولا أن أبا هريرة سعى بكل قوة لطلب العلم حتى أن سعيه أحدث جرأة وجرأته دفعته لهذا الطلب لما نال ما أراد، ولولا أن طلبه للعلم كان شغله الشاغل لما وصل لهذه المكانة وهذا الأمر سيتضح في هذه القصة ..

(جاء رجل إلى زيد بن ثابت فسأله عن شئ، فقال له زيد: عليك أبا هريرة، فإني بينما أنا وأبو هريرة وفلان في المسجد ذات يوم ندعو الله تعالى

---

(١) مسلم فى صحيحه ص ٩١١ حديث رقم ٢٤٩٢ . والترمذي فى سننه حديث رقم ٣٨٣٥. وكذلك ذكره ابن سعد فى كتابه تهذيب طبقات الصحابة ص ٣٤١، مطبوعات الهيئة العامة للثقافة.

ونذكره، إذ خرج علينا النبى (ﷺ) حتى جلس إلينا، فسكتنا فقال: عودوا إلى الذى كنتم فيه، قال زيد: فدعوت أنا وصاحبي قبل أبي هريرة، وجعل رسول الله (ﷺ) يؤمن على دعائنا، ثم دعا أبو هريرة، فقال: اللهم إنى أسألك ما سألك صاحباى، وأسألك علماً لا ينسى.

فقال النبى (ﷺ): آمين فقلنا يا رسول الله (ﷺ) ونحن نسأل الله علماً لا ينسى، فقال النبى (ﷺ): سبقكم بها الغلام الدوسي [١] فزيد بن ثابت هو من تحمل مسئولية جمع القرآن بناءً على تكليف خليفة رسول الله (ﷺ) أبو بكر الصديق وقال عن ذلك: " فوالله لو كلفني نقل جبل أنقله حجراً حجراً ما كان أثقل علىّ مما أمرني به" [٢] ، وزيد بن ثابت هو الذى كلفه النبى(ﷺ) بتعلم العبرانية فتعلمها فى سبع عشرة ليلة وقال عنه رسول الله (ﷺ) (أفرضكم زيد) [٣] ورغم قدره وشغفه بالعلم فقد كان أبو هريرة صاحب السبق، وليس هذا تقليل من شأنه لكنه رفع من قدر أبى هريرة، وهو ما بلغ هذه الرفعة من فراغ ولكنما شغله العلم حتى امتلأ به شغف؛ فعندما أُتيحت له فرصة أن النبى(ﷺ) يؤمن على دعوته

---

(١) ابن حجر فى الإصابة ٤/٢٠٨ قال عنه حديث حسن .

النسائى في السنن الكبرى حديث رقم ٤٧٥٠ .

(٢) **ابن سعد في كتابه** تهذيب طبقات الصحابة ص ٣٥٩، مطبوعات الهيئة العامة للثقافة.

(٣) ابن الأثير في كتابه أسد الغابة ص ٣٢٣ الجزء الثانى، المكتبة التوفيقية.

فاغتنمها فسبق صاحبيه وطلب علم لا ينسى وما زال هذا الأمر مطلب عظيم له حتى رزقه الله إياه.

وقد تشابهت أخلاق أبى هريرة كثيراً مع باقي رواة الأحاديث فتجد قصصهم كحبات العقد تكمل بعضها بعضاً وتتبع كل واحدة الأخرى كحذو القذة بالقذة [١] ، فمثلاً: تتعجب عندما تسمع تلك القصة لـ : عبد الله بن عمر التي يمكن سرد ملخصها كالآتى: إنه جاءته العطايا ليلاً فأنفقها جميعاً فى سبيل الله ثم استدان صباحاً لكي يشتري أحد حاجاته وبعث إليه معاوية يوماً بمائة ألف فما حال عليه الحول وعنده منها شئ، وما كان يأكل طعاماً إلا وعلى مائدته يتيم [٢] .

وإذا ما راجعت كرم أبا هريرة تجد تلك القصة التي يرويها كاتب: مروان بن الحكم (بعث مروان إلى أبى هريرة بمائة دينار، فلما كان الغد بعث إليه: إني غلطت ولم أردك بها، وإني إنما أردت غيرك، فقال أبو هريرة: قد أخرجتها، فإذا خرج عطائي فخذها منه – وكان قد تصدق بها – وإنما أراد مروان اختباره [٣].

---

(١) حذو القذة بالقذة: مثال يضرب في الأشياء التى تتشابه، وفي الحديث الشريف قوله ﷺ: " لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة "، والقذة: ريشة الطائر كالنسر والصقر بعد تسويتها وإعدادها لتركب في السهم .

(٢) ابن كثير في البداية والنهاية، ص ٤٥٦ الجزء الثامن، دار التوفيقية للتراث.

(٣) ابن كثير في البداية والنهاية، ص ٤٥٧ الجزء الثامن.

وفى الحقيقة إذا ما أمعنت النظر وأطلت التفكير تجد أن هاتين القصتين يعكسان شخصيتهما ويوضحان كثير من الجوانب المشتركة بينهما فمثلاً: كلاً منهم لم يمهل المال عنده إلا عتمة الليل، وكلاً منهم أنفق أمواله جميعاً دون إمساك. وواضح بينهما ذاك التشابه الكبير فى الشخصية .

فقد روى البخاري في صحيحه إن ابن عمر وأبو هريرة كانا يخرجان إلى السوق في أيام العشر من ذي الحجة يكبران ويكبر الناس بتكبيرهما.وعندما تضيف أيضاً إلى أبى هريرة . تلك المقارنة بينه وبين ابن عباس ..

قال ابن عباس:

(إنه كان يبلغني الحديث عن الرجل، فآتى بابه وهو قائل، فأتوسد ردائي على بابه، تسفي الريح على من التراب، فيخرج فيقول:

" يا ابن عم رسول الله (ﷺ) ما جاء بك؟ هلا أرسلت إلى فآتيك؟ فأقول: لا! أنا أحق أن آتيك، فأسأله عن الحديث". [1]

ويقول أبو هريرة:

(إن كنت لأعتمد على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدت على طريقهم، فمر بي أبو بكر فسألته عن آية في كتاب الله – ما أسأله إلا ليستتبعني – فمر ولم يفعل فمر عمر

---

[1] ابن كثير في البداية والنهاية، ص ٦٣٧ الجزء الثامن، دار التوفيقية للتراث.

كذلك، حتى مر رسول الله (ﷺ) فعرف ما فى وجهي من الجوع، فقال: أبو هريرة؟ قلت: لبيك يا رسول الله فدخلت معه البيت فوجد لبنا في قدح، فقال: من أين لكم هذا؟ قيل: أرسل به إليك فلان فقال: يا أبا هريرة. انطلق إلى أهل الصفة فادعهم[1] . فكلاهما اشتركا في الجلوس عند أبواب البيوت وتحمل التراب إذ سفر على الوجوه والغاية واحدة وهى طلب العلم وكلاهما أحبا الذل لأنه جاء نتيجة لسبب أسمى وهو حب العلم .

يقول ابن عباس:

(ذلك طالباً فعززت مطلوباً) [2]

فهم أشبه بماء ينبع من أحادي المنبع فأخلاقهم وتصرفاتهم تنبع من مكارم الأخلاق المحمدية، فهي جزء من عظيم خُلق شُبه بالقرآن وهى قطفة من مقتطفات وُجدت من آيات الله وكُتبت من قرآنه وعندما تتمعن بين نسيج سيرة كل من هؤلاء معاً على وجه التحديد سواء كان: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وأنس بن مالك تجد إنهم طراز نادر جداً من البشر.

---

(١) الأصبهانى في حلية الأولياء ١/٣٧٩، وكذلك ذكره البخارى باختصار في صحيحه ص ٧٤٣ حديث رقم ٦٢٤٦.

(٢) أخرجه الدينورى فى كتابه المجالسة وجواهر العلم ٤/٤٣٩ ، وكذلك ذكره الغزالى في كتابه إحياء علوم الدين ص ٢٤ الجزء الأول.

فالأول توفي النبي وكان عمره خمس عشرة سنة [١]

والثانى توفي النبى وكان عمره واحد وعشرون سنة [٢]

والثالث توفي النبى وكان عمره عشرون عاماً [٣]

فإذا ما أضفت لهم: أبا هريرة؟ دون أن تخرج: زيد بن ثابت. من ذهنك فإنك ستقاد إلى الدهشة ، فإن نهضة الأمة في جانب علم الحديث ثم تصدر الفتوى كانت من أصغر الصحابة سناً .

ويبقى السؤال: أين كبار الصحابة من الفتوى إذا ما استثنينا على بن أبى طالب وعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

والإجابة على الرغم من أنها تحتاج إلى تفكير طويل لكنها سهلة وهي أن صحابة النبي كانوا منشغلين في الجهاد، وماكثين في رفع شأن الأمة، ومنهمكين فى صنع عزتها وزيادة رفعتها .

---

(١) ذكر ابن كثير في البداية والنهاية ٨/٦٣٥ عن ابن عباس قال:- قبض رسول الله (ﷺ) وأنا ابن خمس عشرة سنة مختون..

(٢) أخرج البخارى في صحيحه حديث رقم ٤٠٩٧، وذكر ابن كثير في البداية والنهاية ٨/٣٦٨ أن النبى ﷺ رده يوم أحد لصغر سنه مع البراء بن عازب وأسيد بن ظهير وأبو سعيد الخدري ثم أجاز لهم القتال يوم الخندق وهو عن عمر خمس عشرة سنة.

(٣) ذكر ابن كثير في البداية والنهاية ٩/٨٩ إن أنس بن مالك قال " قدم رسول الله (ﷺ) المدينة وأنا ابن عشر سنين وتوفي وأنا ابن عشرين سنة".

وهؤلاء الصحابة على وجه التحديد لم يكونوا بأصحاب الدور البارز في الجهاد والفتوحات وكسر الحصون ودق الطبول وضرب أعناق الكفار وبتر أشلاء المنافقين لكن تصدر لهذا المشهد غيرهم وتولى زمام الأمر طراز آخر بطبيعة أخرى كعمرو بن العاص وأبو عبيدة بين الجراح، وشرحبيل بن حسنة، والمثنى بن حارثة والنعمان بن مقرن، وخالد بن الوليد، ويزيد بن أبي سفيان.

فالأمة الإسلامية أشبه ببساط (هو حدود الدولة الإسلامية) يحمل عليه قوم يرفعون راية لا إله إلا الله (هم المسلمون) وتدفع بالخيل (هى العلم) التي يتحكم في سيرها رجال أقوياء (هم العلماء) ويحاطون جميعاً بالفرسان المدججين بالسلاح (هم الجيش) ويستظلون جميعا بسحابة تضبط تحركاتهم (هي الشريعة) وكل هذا لا قيمة له بلا حاكم محنك يحسن توظيف إمكانياته (هو الخليفة) وضبط رعاياه وإجبارهم على العودة إذا ضلوا، فإذا أخلت الأمة بنظام من أنظمتها أو بركن من أركانها فسدت . فمثلاً دأب الخليفة العباسى المأمون على إستخراج كتب الفلاسفة واليونان من جزيرة قبرس[1]، وازدادت بعهده حركة ترجمة الكتب ليضعها فى مكتبات المسلمين فغصت[2] مكتباتهم بالكتب حتى

---

(١) ذكره السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء ص ٢٦٠، دار الفجر للتراث.

(٢) فغصت : امتلأت حتى لم يبقى بها منفذ، يقال غصت الساحة بالزوار: أى امتلأت.

تصدعت [١] الأرض تحتها، فمكتبة قرطبة[٢] وحدها كانت تحمل نصف مليون كتاب، ومكتبة دار العلم بالقاهرة كان بها أربعون قسماً وكل قسم يختص بفرع من فروع العلم. وكان يحتوى كل قسم على ثمان عشرة ألف كتاب.

وكل ما ذكر لا يمثل شيئاً إذا ما قارنته بمكتبة بغداد[٣] التي ظلت أكبر مكتبات العالم بلا مثاور ولا ند لمدة خمسة قرون.

وقد بلغ تقدير الخلفاء والحكام للعلم أكثر من ذلك حتى أن الخليفة العظيم القائد: منصور المريني. عندما انتصر في إحدى معاركه على الصليبيين سنة ٦٨٤ هـ وأجبرهم للخضوع له بلا شرط وعقد معهم الصلح ؛ اشترط عليهم لكي يتم الصلح أن يعيدوا الكتب التي أخذوها من مكتبات المسلمين فى قرطبة وإشبيلية وطليطلة. ولم يكن التنافس بين علماء المسلمين أقل ضراوة وأخف حدة من تنافس كل مكتبة على حمل ما لا تحمله أختها من الكتب. حتى أن: الصاحب ابن عباد (أحد علماء

---

(١) تصدعت: تشققت، في القرآن الكريم قوله تعالى: " لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ ".

(٢) مكتبة قرطبة هى واحدة من أكبر مكتبات العالم في زمانها فقد تأسست عام ٢٣٨ هـ وبلغت أزهى عصورها في عهد الحكم بن عبد الرحم الناصر.

(٣) مكتبة بغداد: هى أعظم دور العلم في التاريخ الإسلامى منذ أن أسسها هارون الرشيد سنة ١٧٠ هـ حتى دمرها المغول سنة ٦٥٦ هـ ، قيل عنها أنه لولا تدمير هذه المكتبة لاحتفظ العالم الإسلامي بتقدمه حتى الان.

المسلمين في القرن الرابع الهجري) كان يحوي في مكتبته كتب أكثر من الكتب التي كانت توجد في قارة أوروبا كلها كما ذكرت مصادر أوربية.

فظهر: جابر بن حيان. وهو أول من اخترع ورق مقاوم للحريق[١] وهو أول من أضاف إلى الزجاج ثاني أكسيد المنجنيز ليتبدل لونه من الأخضر إلى الأبيض.

وظهر الأدريسي وهو صاحب أول خريطة في العالم ورسمها على كرة ليثبت أن الأرض كروية[٢].

وظهر: أبو بكر الرازي. وهو أول من أجرى عملية في العين لاستخراج الماء الأبيض [٣].

وظهر: ابن النفيس، وابن الهيثم، وأبو كامل المصري، وموسى بن شاكر... وغيرهم. وقد بلغ الرقي أعلى مداه في بلاد الإسلام حتى أن مستشفى المنصور الموحدي كانت تحتوي بداخلها على عدة بحيرات كما

---

(١) اخترع الورق المقاوم للحريق تلبية لرغبة الإمام جعفر الصادق حينما ألف كتاب (الضيم) وطلب من جابر بن حيان أن يبتكر ورق مقاوم للحريق حتى ينسخ الكتاب عليه .

(٢) مكث الإدريسى قرابة خمسة عشر عاماً لإنجازها فاستحق الإشادة من الجميع. يقول عنه ول ديورانيت في كتابه قصة الحضارة ١٣/٣٥٨ : " كانت هذه الخرائط اعظم ما أنتجه علم رسم الخرائط فى العصور الوسطى، لم ترسم قبلها خرائط أتم منها، أو أدق ، أو أوسع وأعظم تفصيلاً"".

(٣) الذهبى فى سير أعلام النبلاء ٢٧/٤٠٣ . .

أن المنصور الموحدي اعتاد الذهاب بنفسه لزيارة المرضى. ولم يكتف المسلمون بهذه المستشفيات التي ما عرفها العالم حتى ذلك الوقت لكنما ذهبوا ليتفننوا في صنع المستشفيات المتنقلة [١]، وأول مستشفى ثابتة للمسلمين كانت بعهد الوليد بن عبد الملك سنة ٨٨ هـ ثم تبعتها بتسع قرون أول مستشفى بأوروبا (كانت فى باريس). وقد كانت سيرة علماء المسلمين تحوي بين طياتها غرائب أهلتهم لصنع مجتمع يفوق نظرائه بمئات السنين. فقد روى أن ابن سينا تعثر عليه فهم كتاب فقرأه أكثر من أربعين مرة، وروي عن ابن رشد أنه لم يدع النظر في الكتب طوال أيام حياته إلا ليلتين[٢] . فقد كان الوقت فى عصور العزة للمسلمين هو العمود الفقري للمسلم إذا ما أهمله خُزل [٣]. ظهره وأصبح عالة على المجتمع، شاذ عن النحيزة[٤]، ملفوظ مما حوله، ولم يكن هذا الأمر

---

(١) المستشفيات المتنقلة بدأت فكرتها في غزوة الخندق سنة ٥ هـ حينما أمر النبى ﷺ بضرب خيمة متنقلة لرفيدة بنت سعد الأسلمية لعلاج المرضى وعرفت باسم خيمة رفيدة وهى أول مستشفى متنقل في التاريخ ثم تطورت بعد ذلك بتطور كيان الدولة حتى صارت تصحب الملوك والأمراء برحلات الحج .

(٢) ذكره د/ راغب السرجانى في كتابه " كيف تصبح عالماً " ووضح أن الليلتين أولهما يوم عرسه ، والثانية يوم وفاة والده.

(٣) خُزل: أى كسر ظهره .

(٤) النحيزة: الطبيعة . يقال هو كريم النحيزة .

مقتصر على طبقة دون أخرى لكنهم تنافسوا في استغلاله وصنع نصر الأمة . يقول الخليل بن أحمد: " أثقل الساعات علىَّ ساعة أكل فيها "[١] فقد بدأ موسى بن نصير فتح الأندلس عن عمر ٧٢ عاماً وأتم الفتح عن عمر ٧٥ عاماً وكان يموج به الطموح إلى أبعد من ذلك حتى أن كبر السن ما استطاع هزيمته فراح يعلن عن نيته في فتح القسطنطينية لتنطبق عليه بشرى النبي[٢]. والعجيب أن الأمر إذا سار كما خطط لأسقط فرنسا وألمانيا وبلجيكا والنمسا والمجر وبلغاريا وألبانيا ويوغسلافيا وبولندة. لكن يبقى السؤال كيف زاغ[٣] ذهن هذا الرجل العجوز الذى يكافح لأجل البقاء في الحياة إلى الكفاح فى ساحة القتال ثم الكفاح لإسقاط أوروبا كلها تحت راية التوحيد.

إنهم كانوا بشر غير البشر، وقوم خلاف القوم، وأمة مختلفة الحال عن تلك الأمة التى لم تترك بجذورها شئ من العزة لتتغذى منه فروعنا . أنهم قوم كانت تفر لعزيمتهم التباريح [٤]. وتفل من قوتهم صفحات التاريخ

---

(١) أبى هلال العسكرى في كتابه " الحث على طلب العلم والاجتهاد " ص ٨٧ .

(٢) ذكرت الإمام أحمد فى مسنده حديث رقم ١٨١٨٩، وكذلك الحاكم في المستدرك حديث رقم ٨٣٠٠ عن بشر الغنوى قال : سمعت رسول الله ﷺ لتفتحن القسطنطينية ولنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش.

(٣) زاغ: مال . يقال: زاغ ذهنه أى مال به ذهنه إلى شئ ما.

(٤) التباريح: الشدائد.

فيشكلونها كيفما يحبوا وكيفما شاءوا . فالإيمان عندما يندمج مع اليقين يشكل من صاحبه بنيان لا ينكسر، وحال لا يتغير ولو أثقل صاحبه بجبل كجبل أحد .

" فإن زيد بن ثابت ﷺ جمع القرآن في مهمة كانت عليه أثقل من جبل أحد" فما الذى جعل هذا الشاب الذي لم يبلغ من العمر ٢٣ عاماً[١] أن يتحمل مثل هذه المهمة ويتجرع كل ألوان العذاب لإتمامها . فالدافع عندما يشتد عوده ويتصلب ظهره يحرم على صاحبه الإنكسار ويجبره على رفع رأسه. فقد قاتل يوسف بن تاشفين . في الأندلس ضد الصليبيين عن عمر ٧٩ عاما . فالإسلام عندما يضم الفتى بين كنفيه ويحتضنه بين جوانحه يصنع منه رجلاً، وإذا ما ازداد إيماناً وتحلى باليقين صار رجلاً فوق الرجال. ورجلاً من قليل الرجال، ورجلاً يتقدم الرجال. فطلب العلم وحده دون إضافة هذا الشرط لا يكفي. وتوافر هذا الشرط مع عدم توافر الدافع القوى في طلب العلم لا يكفي وتوافر الشرطين مع عدم توافر الحب لا يكفي ومن دراسة ما سبق يمكن القول إن خلاصة هذا الباب إنه إذا ما أردت العلم فعليك أن تزهد في كل شئ وتطلبه بكل شئ ، وأن تبعد عن كل ما يبعدك عنه وتتقرب من كل ما يقربك منه، وأن تجعله شغلك الشاغل ولأجله تترك المشاغل.

---

(١) ابن سعد في كتابه " تهذيب طبقات الصحابة" ص ٣٥٩، مطبوعات الهيئة العامة للثقافة.

فعندما سُئل الشافعي: كيف طلبك للعلم؟ قال: " كطلب المرأة المضلة ولدها ليس لها غيره"[١]. فالعلم كالزوجة البارة التي تلازمك طول حياتك فكلما أحببتها أحبتك، وكلما حفظتها أعطتك، وهى لا تتحمل أن ينازعها شئ في قلب زوجها إذ تريده لها وحدها، وكلما ازددت علما غيرة ازدادت عليك تدللاً. فهكذا العلم إذ يسكن القلب يطرد كل شئ سواه، وكلما أحببته وحفظته أحبك وحفظك.

(١) ابن حجر العسقلانى فى كتابه : الإمام الشافعى ص ١٠٥.

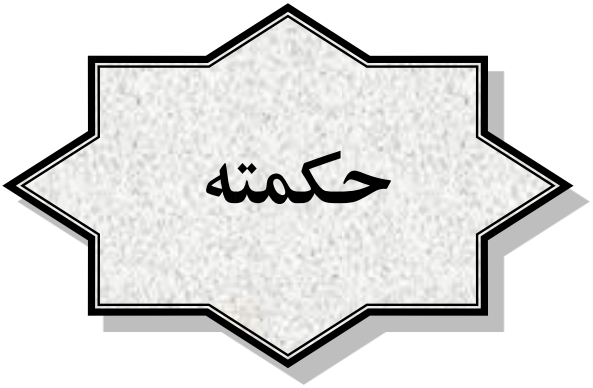
حكمته

الحكمة هى ذاك الحاكم الذي يحكم بلا سلطان، ويجبر الآخرين على سماع رأيه دون أن يبسط سلطته عليهم، ويبسط سلطته على الآخرين دون أن تكون له يد القبضة. ويمكن بمفهوم آخر تعريف الحكيم بأنه ذاك الشخص الذي يجبر الآخرين على احترامه، وينقذهم بسداد رأيه وحسن قوله، فلولا الرأي الصائب لأم المؤمنين السيدة أم سلمة رضي الله عنها في صلح الحديبية لأهلك المسلمون أنفسهم بمخالفتهم لرأى النبى ﷺ [١].

فبالحكمة أنقذ سيدنا الحسن رضي الله عنه رقاب المسلمين من ظبا[٢] سيوفهم، وأعتق أجسادهم من لهذم[٣] الحسام، فأغمدت السيوف فى جفنها[٤] وغض الساعد عن مقبض السيف، فالتحمت جراح الأمة وعادت شابة تركض فلا يجاريها عداء، وتبطش فلا يمنعها مانع، فعبر شبابها الأندلس، ووطئت خيولهم أفريقية، وأعلنت سيوفهم أنه لا صوت

---

(١) ذكر ابن كثير في البداية والنهاية ٤/٥٤٤ عن الزهري قال: " لما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ قوموا فانحروا ثم احلقوا. قال: فوالله ما قام منهم رجل واحد حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم منهم احد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقى من الناس فقالت أم سلمة: يا نبى الله أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر وتدعوا حالقك فيحلقك" فلما فعل رسول الله ﷺ ورأوا ذلك قاموا فنحروا.

(٢) ظبا السيف : طرف السيف

(٣) لهذم الحسام: الجزء الحاد من السيف.يقال سيف لهذم : أى قاطع.

(٤) جفن السيف : أى موضع غمده.

يعلو فوق صوتها في ساحة القتال، فكانوا للعالم رعب في مشارق الأرض تنتفض منه مغاربها، فاتسعت بقاعها وتقلصت بقع أعداءها، فمدت أرض المسلمين ؛ وثمدت [١] أرض أندادهم فكان صوتهم يدوي فى الشرق لترتعد منه بلاد هرقل في الغرب، فيوقظهم من غفلة، ويأرقهم من سكون، ويضايقهم من دعة فما نست عيونهم شرفات كسرى وهى تتهاوى، وما تناست أذنهم أنباء هزيمة رستم التى تطايرت إلى الأرض لتعلن أن المسلمين هم القوة الأولى والعظمى في العالم . وبقلة الحكمة أضاع يزدجر ملكه فأصر على مواجهة جيش المسلمين بجيش موحد من الفرس مخالف لرأى: رستم . أميره في معركة القادسية، ومتغاضياً عن رأيه حين نصحه فقال: إن هذا ليس برأى في الحرب، إن إرسال الجيوش بعد الجيوش أشد على العرب من أن يكسروا جيشاً كثيفاً مرة واحدة، فأبى : يزجرد إلا ذلك[٢].

فيزدجر . جمع الفرس ووحدهم، وكذلك سيدنا الحسن ﷺ جمع المسلمين ووحدهم، ولكن شتان ما بين الجماعة هنا والجماعة هناك . فالجماعة التى أصر يزدجر على هيكلتها متغاضياً رأى قائده واضعاً النصائح دُبُر أذنه افتقدت في بناءها إلى الحكمة؛ فاسقطت تلك الإمبراطورية صاحبة التاريخ الطويل سطوره، العظيم بعدد صفحاته،

---

(١) ثمدت: الأرض أى قل ماؤها. والمقصود هنا: أى تقلصت

(٢) ابن كثير في البداية والنهاية ص ٣٤ الجزء السابع.

المديد في كتاباته. فقد كانت نظرته إلى الحرب وإلى الأسباب التى أدت إلى انتصار المسلمين نظرة عدد وعدة؛ فقدم الظاهر على الجوهر، والمنظر الخارجي على التركيب الداخلى.

فبدلاً من أن ينظر إلى ملكه الذي كان يأكل بعضه بعض، وإلى قوة المسلمين التى كانت تلتحم جزءاً بجزء لكنه نظر إلى ظاهر الأمر وهو العدد. ولو نطس [١] فى التفكيرلأدرك أنه فى جميع معاركهم مع المسلمين كانوا الأكثر عدد؛ وبذلك تكون العبرة ليس في العدد لكن غره انتصار معركة الجسر[٢] فأقدم بكامل قوته فكانت الهزيمة التى خزلت[٣] ظهرهم، وكسرت أعناقهم، وزلمت [٤] أنفتهم . أما سيدنا الحسن ﷺ فقد كان حصيف ولد في بيت النبوة وتربى في مدرسة الزهد فقد نظر إلى الأمر من الجانبين سواء كان الظاهر أو الجوهر.

ففى ظاهر الأمر هو سيد شباب أهل الجنة، وابن السيدة فاطمة الزهراء، وجده رسول الله ﷺ ، وابن الإمام على ﷺ رابع الخلفاء الراشدين

---

(١) نطس : في التفكير أى دقق فيه

(٢) معركة الجسر هى معركة خاضها المسلمون بقيادة أبى عبيدة بن مسعود الثقفى ضد الفرس، وهى المعركة الوحيدة التى انتصر فيها الفرس بقيادة : جاذويه .

(٣) خزلت: كسرت

(٤) زلمت: أنفتهم أى قطعتها ، كناية عن كسر النفس المتكبرة .

الذى كان من أهل الشورى[١] عكس معاوية الذى بايعه أهل الشام فقط في حين كونهم ليس بأهل الحل والعقد. إضافة إلى ان معاوية كان قد أسلم يوم صلح الحديبية [٢] كما أن فئة معاوية لم تكن على الحق ، وكل هذا يوضع في جانب واحد.

أما الجانب الاخر هو أن قوة سيدنا الحسن ﷺ كانت أقوى وأعظم وأكثر من قوة معاوية.

ووصف سيدنا الحسن هذا الامر بقوله:

" قد كان جماجم العرب في يدي يحاربون من حاربت ويسالمون من سالمت، فتركتها وجه الله وحقن دماء أمة محمدﷺ " [٣]

ولكن هذا كان ظاهر الأمر أما جوهره أنه لو تقاتلت الفئتان لأهلك المسلمون بعضهم البعض، ولفتكت قواهم بقواهم، ولحقتهم قوة

---

(١) أهل الشورى : هم الستة من الصحابة الذين وكل إليهم عمر بن الخطاب ﷺ الأمر لاختيار خليفة منهم وهم: عثمان بن عفان ، على بن أبى طالب، سعد بن أبى وقاص، طلحة بن عبيد الله ، عبد الرحمن بن عوف، الزبير بن العوام ﷺ.

(٢) ابن سعد في كتابه " تهذيب طبقات الصحابة " ص ٣٧٧ ، مطبوعات الهيئة العامة للثقافة. لكن بعض العلماء رجح أن إسلام معاوية كان في فتح مكة مستدلين بكلام على بن أبى طالب ﷺله: لا المهاجر كالطليق كما ورد في نهج البلاغة" ص ٢٨٢ الجزء الثالث، مكتبة مصر بشرح الإمام محمد عبده.

(٣) ذكره جلال الدين السيوطي في كتابه " تاريخ الخلفاء " فصل خلافة الحسن بن على ﷺ.

التفكك، ولاندثرت الدعوة التى قاتل فى سبيلها جده النبى العرب والعجم لكنه بحكم حكمته قدم جوهر الأمر وباطنه على ظاهره؛ فاستحق أن يذكر موقفه في التاريخ بأنه قدم مصلحة الأمة على كل شئ، وأستحق أن يكافئه الله بجعل المهدى المنتظر من نسله وهو الذى سيحكم مشارق الأرض ومغاربها [1]

---

[1] روى الحاكم في المستدرك حديث رقم ٨٧٨٧ من حديث أبى سعيد الخدرى ان رسول الله ﷺ قال: " يخرج من أمتى المهدى يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحاً، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، ويعيش سبعا أو ثمانا – يعنى حججاً، وروى أبو داود فى سننه حديث رقم ٤٢٨٢ عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبى ﷺ قال: " لا نتقضى الدينا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتى يواطئ اسمه اسمى ، واسم أبيه اسمى أبى .

ويمكن تلخيص ما سبق فى تلك السطور .. " القوة بلا عقل تدمير، والعقل بلا قوة مجرد خطط على ورق، والعقل يولد حكمة تنم عن حسن تصرف، وتفادي التباريح في غير موضعه إحجام ينم عن خوف وجبن" .

أما العقل المنضبط بالحكمة والمحاط بجمال التصرف يجبر صاحبه على حسن القول المنضبط بالحكمة، والمحاط بجمال يجبر صاحبه على الإحسان في أوقات اللين، والحزم في لحظات التزعزع [1] وقطع الشك عن اليقين عند ظهور البلبلة فيكون لصاحبه نور بين جدران الظلمات، وهداية بين حبال الضلالة.

فمجتمع الصحابة ما خلى قط من الحكمة، ولم تتركهم الحكمة أبداً، فقد كانوا يتنافحون فيما بينهم لاقتناص العلم، ويتشاجرون في نيل الفضل، والعلم بطبعه ينمي العقل بكل شئ بما فيها الحكمة.

فالصحابة كانوا أشبه بجزئيات تدور حول النواة، فقد كان النبى محور الأحداث التى يستمدون منها ما يفتقدونه في أنفسهم، فهم بشر وجب عليهم أن يتعلموا من خير خلق الله وسيد البشر. وبناء على ذلك ما خلى كبار الصحابة أو كل من كان له في رسول الله ﷺ قرب فى الجلوس والخُلُق من الحكمة. وسنكتفى بعرض بعض من مواقف الخلفاء الخمسة

---

[1] التزعزع: الشك.

وسيدنا الحسين ﷺ كنموذج يعبر عن حال الصحابة والتى تجلت حكمتهم واضحة بعدما غاب عنهم المصطفى ﷺ ومن ذلك:-

إنه عندما توفى رسول الله ﷺ اضطرب حال المسلمين ومرقت نظرات الحيرة بعضهم البعض، فقال عمر ﷺ بعد أن توعد من قال مات رسول الله ﷺ بالقتل والقطع:- "إن رسول الله ﷺ فى غشية لو قد قام قتل وقطع" (١)

وكذلك قال للمغيرة بن شعبة بعد أن قال له:- مات رسول الله ﷺ:- " كذبت بل أنت رجل تحوسك فتنة إن رسول الله ﷺ لا يموت حتى يفني الله المنافقين " (٢) فلما سمع أبو بكر بالخبر جاء مسرعاً من مسكنه بالسنح، فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتيمم رسول الله ﷺ وهو مغش بثوب حبرة ثم أكب عليه فقبله وبكى ثم قال:

" بأبي أنت وأمي يا رسول الله والله لا يجمع الله عليك موتتين أبداً أما الموتة التى كتبت عليك فقد متها" (٣).

---

(١) ابن كثير في البداية والنهاية ص ٢٥٧ الجزء الخامس، وكذلك البيهقى في الدلائل ٢١٧- ٢١٩ /٧ .

(٢) ابن كثير في البداية والنهاية ص ٢٥٦ الجزء الخامس، وكذلك البيهقى في الدلائل ٢١٣- ٢١٥ /٧ .

(٣) ابن كثير في البداية والنهاية ص ٢٥٧ الجزء الخامس، وكذلك البيهقى في الدلائل ٢١٥- ٢١٦ /٧ .

فخرج أبو بكر وعمر يتكلم فوقف فيهم خطيباً فقال:-

" اجلس يا عمر وهو ماض فى كلامه وفى ثورة غاضبة فقام أبو بكر خطيباً بعد ان حمد الله وأثنى عليه فقال:

" أما بعد ... فإن من كان يعبد محمد فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ثم تلا قوله تعالى:

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٤][1]

فلولا أبا بكر صديق لكان حكيم، ولولا أن الحكمة نعمة لا يقدرها إلا أهلها لقلنا: أحكم الحكماء. فنحن لا نعلم أمة فقدت رسولها وانقطع عنها الانبياء ونهضت كاملة البناء كأنها لم تخدش كأمة الإسلام وما نعلم رجل استخلفه قومه بعد نبى وغلب الظروف وقهر التحديات كأبى بكر. ومن حكمته ﷺ أيضاً أنه لما سأل عبد الرحمن بن عوف عن استخلافه لعمر بن الخطاب قال له:- " إنه أفضل من رأيك فيه ولكن فيه غلظة"[2]. فقال أبو بكر: "وهو كذلك لأنه يراني رقيقاً ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيراً

---

(١) ابن كثير في البداية والنهاية ص ٢٥٧ الجزء الخامس، وكذلك ابن سعد في كتابه تهذيب طبقات الصحابة.

(٢) ابن الأثير فى كتابه أسد الغابة ص١٤٢ الجزء الرابع.

مما هو فيه" [1] فعبد الرحمن بن عوف نطق لسانه بما ترى عينه فأصدر حكمه بعين المشاهد الذى قد تخدعه المظاهر كما يخدع السراب العين أما الصديق فأصدر حكمه بمعرفة سابقة بصديقه فأحسن التقدير، وأصابت حكمته حسن قراءة المستقبل، وعليه يمكن تعريف الحكمة بأنها تلك الدرجة التى حينما يبلغها العقل قرأ الواقع وتوقع المستقبل وتجنب أخطاء الماضى. فالعاقل في الثبات عند المصائب وحسن التفكير في أوقات طياش العقول يفعل ما يقدم الأحمق على فعله بعد شهور أو سنوات من نفس اللحظة، فكُلٌ قدر عقله، وكلٌ حسب تفاوت درجة الحماقة.

فكان ﷺ قدوة فى تصرفاته منذ توليه قيادة تلك الأمة الناشئة التى كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة حتى تجديد شبابها ثم اختيار الخليفة بعده الذى قوى ساعدها؛ لتبسط قبضتها على العالم فى وقت وجيز[2] ، ولم

---

(١) ابن جرير الطبرى في تاريخه ٣/١٥٢، وكذلك ابن الأثير في كتابه الكامل.

(٢) أبو بكر الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٤٧٣ عن عبد الله بن مسعود ﷺقال:- أفرس الناس ثلاثة : صاحبة موسى التى قالت: يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين، وصاحب يوسف حيث قال: " أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً، وأبو بكر حيث استخلف عمر" ، وكذلك رواه الحاكم النسابوري في المستدرك حديث رقم ٣٣٧٣ عن عبد الله بن مسعود ﷺقال: " أفرس الناس ثلاثة: العزيز حين قال لأمرأته أكرمى مثواه = =عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً، والتى قالت يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين، وأبو بكر حين تفرس عمر ﷺ.

تقتصر حكمته على اختيار فقط لكنها ظلت أسيرة عظمته لتنطلق عند كل تصرف، وكل كلمة لكن سنأخذ منها مقتطفات فقط.

قال أبو بكر لخالد بن الوليد:-

" أقل الكلام فإنما لك ما وعى منك "

وكان يقول لخالد أيضاً:

" أحرص على الموت توهب لك الحياة"

فلسانه ﷺ لم ينفض من الحكمة. فكيف بعقله؟

وكلماته كانت لا تخرج أبدا من مفهوم الجمال والرقى. فكيف بشخصه؟

وإذا كان هذا من عظيم عظمة أبى بكر. فكيف برسول الله ﷺ ؟

وروى أيضا عنه أنه قال لرجل: أتبيع هذا الثوب؟

فأجابه" لا عافاك الله!

فقال له أبو بكر: هلا قلت لا وعافاك الله

ومن أعظم ما قال ﷺ أيضا ما قيل فى نصحه ليزيد بن أبى سفيان فى تعامله مع الرعية:-

" إذا وعظتهم فأوجز، فإن كثير الكلام ينسى بعضه بعضا"

وبهذا القدر ننتقل من حكمة الصديق إلى حكمة عمر ﷺ .

قال عمر بن الخطاب:-

" لما خرج معاذ بن جبل إلى الشام أخل خروجه بالمدينة وأهلها في الفقه وما كان يفتيهم به، ولقد كنت كلمت أبا بكر رحمه الله أن يحبسه

لحاجة الناس إليه، فأبى على . وقال:- رجل أراد جهاداً يريد الشهادة فلا أحبسه".

فقلت :- والله إن الرجل ليرزق الشهادة وهو على فراشه .

فمن جمال لسان أبى بكر أنه قال تلك الجملة، ومن حسن تصديقه أنه قدم حاجة الفرد ممزوجة بغاية الطاعة لربه والتقرب إليه على حاجة الناس.

ومن حكمته أيضا أنه لم يخلق سنة لأجل مصلحة، أما عمر ﷺ فمن حكمته أنه خلق سنة ليحقق مصلحة.

ولكن يبقى السؤال: كيف يمكن لوجهتان مختلفتان يؤديان إلى طريقين مختلفين أن يجتمعا في مدينة الحكمة؟

كحسابات ورقية يستحيل حدوث هذا لكن واقعياً تقع، فمن حكم الله في خلقه أنه أوجد للكون نواميس، وللأمور معضلات، وللحياة أمورها الغريبة، وللشخصيات فى قراءة الشخصيات صواب وخطأ وانخداع، فبهذه الطريقة جعلت لكل خطة خريطة، ولكل خريطة ورقة، ولكل ورقة خامة؛ فتعددت الأساليب، وكثرت الطرق التى تكتب بها تلك الأساليب.

فرأى أبو بكر أنه ما كان له أن يمنع شخصاً يريد الشهادة أن يغتنمها فقدم مصلحة الشخص الخاصة على المصلحة العامة مغلباً جانب الحكمة على تصرفه ومستنداً على الحالة الإيمانية التى كانت تستظل بها الامة . اما رأى عمر ﷺ فجاء مقدماً المصلحة العامة على مصلحته الخاصة مغلباً جانب الشدة بهدف ترسيخ العلم، وتوفير المرجع

الذى ترجع إليه الناس عند الحاجة وكلاهما مزين بحسن التصويب منزه عن الخطأ.

وكمثال آخر لتلك الطريق التى تختلف في وجهتها لكنها تجتمع في مدينة الحكمة تلك التى حدثت مع عبد الله وعبد الله، فالأول هو ابن أبى بكر والثانى هو ابن عمر، فالاول تزوج عاتكة بنت زيد. فلما شغفه حبها وعطله عن الجهاد ثم ازداد حتى عطله عن التجارة فأصاب تفريط في أمور الدين والدنيا فأجبره أبو بكر ﷺ على تطليقها فطلقها.

فلما رأى أبو بكر أن شغفه بها يزداد وحبه لها قد فج عن جوانح صدره فسمعه ينشد:

أعاتيك لا أنساك ما ذر شارق ... وما ناح قمري الحمام المطوق
أعاتيك ، قلبى كل يوم وليلة ... إليك بما تخفي النفوس معلق
ولم أر مثلي طلق اليوم مثلها ... ولا مثلها في غير جرم تطلق
لما خلق جزل، ورأى ومنصب ... وخلق سوى في الحياء ومصدق

فعندما تطايرت كلمات الشعر من لسانه تشكى حتى تبكي فأمره بإعادتها [1]

أما عمر ﷺ فلم يجد من ابنه: عبد الله ... تثاقل فى جهاد أو تخلف عن ما يقربه إلى ربه أو تناسى صلاة، إنما كل ما وجده حب زائد من ابنه:

(١) ابن الأثير فى كتابه أسد الغابة ص ١٧٣ الجزء السابع ، المكتبة التوفيقية.

عبد الله بن عمر لزوجته. . فخاف الحب أن يقوده إلى التكاسل فطلب منه أن يطلقها [١] .

ورغم غرابة فعل عمر ﷺ في التعامل مع مفهوم الحب بين الزوج وزوجته نقيض فهمه الذي بلغ الرقي حيث قال لسعد بن أبى وقاص :-

"من محبة الناس فلا تزهد في التحبب فإن النبين قد سألوا محبتهم، وإن الله إذا أحب عبداً حببه وإذا أبغض عبداً بغضه، فاعتبر منزلتك عند الله بمنزلتك عند الناس" [٢]

وجاءه رجل يريد تطليق أمرأته فقال له عمر:-

" لم تطلقها؟

قال: - لا أحبها،

قال عمر ﷺ:-

أوكل البيوت بنيت على الحب؟ فأين الرعاية والتذمم.

فما بين الفعل هنا والقول هناك يبقى الأمر يحمل التناقض في ظاهره لكنه ينظر إلى المصلحة العامة في المرتبة الأولى.

---

(١) ذكر جلال الدين السيوطي في كتابه " تاريخ الخلفاء" ص ١١٧ عن النخعى أن رجلاً قال لعمر: ألا تستخلف عبد الله بن عمر؟ فقال:- قاتلك الله، والله ما أردت الله بهذا أستخلف رجلاً لم يحسن أن يطلق أمراته؟

(٢) ابن كثير في كتاب البداية والنهاية ، المجلد الرابع ص ٣٣، الجزء السابع.

وكان يقول للمسلمين:

" إننى بينكم وبين الله، وليس بينى وبينه أحد" (١)

ومن أعجب الرسائل في وصف شئ يمكن وصفه تلك الرسالة التى أرسلها عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص. يطلب فيها منه وصف البحر، فحكمة عمر ﷺ حجبته على إرسال الجيش لمجرد طلب معاوية ﷺ منه ذلك عابراً بها البحر لفتح قبرص فتفاجئنا بهذا الوصف. يقول عمرو بن العاص:

"إنى رأيت خلقاً كبيراً يركبه خلق صغير، إن ركد خرق القلوب، وإن تحرك أزاغ العقول، تزداد فيه العقول قلة والسيئات كثرة، وهم فيه كدود على عود، إن مال غرق، وإن نجا فرق" (٢).

فلا يوجد على مدار التاريخ وصف دقيق للبحر كهذا الوصف وتشبيه كهذا التشبيه.

ولعل من أعظم حكم: عمرﷺ. التي بنيت له حسن فراسة وجمال توقع حيث أن عبد الرحمن بن عوف لام عمر ﷺ على دعوته لـ : عبد الله بن عباس لحضور المجالس معهم لصغر سنه . فجرضها (٣) عمرﷺ فى نفسه ثم استغل حضورهم بالكامل فسألهم عن تفسير سورة " النصر"

---

(١) ابن كثير في كتاب البداية والنهاية ، المجلد الرابع ص ٣٣، الجزء السابع.

(٢) السيوطي فى كتابه تاريخ الخلفاء ص ١٢٥، دار الفجر للتراث .

(٣) جَرِضَ: ابتلع ريقه من الغيظ ، كناية عن كتم غيظه.

وبعد أن أخرجوا ما عندهم سأل ابن عباس فأصاب حينما أخطأ الجميع [١].

وإذا ما تركنا فراسة عمر إلى خليفته عثمان الذي قدر له الله أن يكون صاحب السبق في جمعه للناس على المصحف وصبره على الخوارج حتى قتلوه، حاصروه فما ضعف، وتجرأوا عليه فما ترك حياءه، منعوه إمامة المسلمين في الصلاة فقال:- " إن رسول الله ﷺ عهد إلى عهداً فأنا صابر عليه". [٢]

---

(١) روى البخاري فى صحيحه حديث رقم ٤٩٧٠ ص ٦١٠ عن ابن عباس قال:- " كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال: لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر:- إنه من قد علمتم ، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم فما رئيت أنه قد دعاني يومئذ إلا ليريهم قال: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا قال: فما تقول؟ قلت:- هو أجل رسول الله (ﷺ) أعلمه له قال: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ وذلك علامة أجلك ﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣ ﴾ فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول.

(٢) ذكره السيوطي في كتابه " تاريخ الخلفاء" ص ١٢٣.

والعهد الذى يقصده عثمان ﷺ أن النبى ﷺ قال:- " يا عثمان " إنه لعل الله يقمصك قميصاً، فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقانى" (١).

صدق رسول الله ﷺ فما يجحد حق عثمان إلا منافق؛ وجزاه الله خيراً عن صبره على نفسه حتى قتل. أخرج ابن عساكر عن زيد بن ثابت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:- " مر بى عثمان وعندي ملك من الملائكة، فقال:- شهيد يقتله قومه، إنا نستحى منه" فلو ضعف عثمان في الفتنة وخلع نفسه؛ لأصبح خلع الناس لحكامهم أسهل من خلع المرأة لزوجها، وإطلاق الرجال لراية العصيان في وجه قائدهم أسهل من طلاق الرجل لزوجته.

يقول عبد الرحمن بن مهدى:

" خصلتان لعثمان ليستا لأبى بكر ولا لعمر: صبره على نفسه حتى قتل، وجمعه الناس على المصحف" (٢) .

وإذا ما اكتفينا بهذا الجزء الضحل لنعبر به عن مقدار وقدر حكمة الصديق والمُلهم والخليفة الذي تستحي منه الملائكة إلى حكمة الإمام الذي كان عمر يقول فيه:

---

(١) ذكره السيوطي في كتابه " تاريخ الخلفاء" ص ١٢٣.

(٢) ذكره السيوطي في كتابه " تاريخ الخلفاء" ص ١٣١.

أعوذ بالله من معضلة ليس فيها أبو الحسن[١]

فهو ابن عم رسول الله (ﷺ) وزوج ابنته وهو الذي اصطفاه الله لينال ويصيب شرف وفضل النشأة في بيت النبوة، فإذا ما كنا ذكرنا حكمة أبي بكر وعمر وعثمان، كونهم نالوا الحكمة بحكم قربهم من رسول الله . فكيف بمن تربى في بيت رسول الله ﷺ؟

كنا قد ذكرنا أن النبى كان النواة التي يدور حولها الصحابة فيصيبون من أخلاقه ويوصفون بصفاته فتتساوى حركتهم الإلكترونية مع بروتونات المصطفى المجهزة ربانياً والمعدة من قبل الله سبحانه وتعالى ونذكر مثال من الأمثلة التي توضح حكمة الإمام على :

فعندما خطب النبى ﷺ في أصحابه قائلاً:

" إن الأنصار كرشي وعيبتي وإن الناس سيكثرون ويقلون فاقبلوا من محسنهم واعفوا عن مسيئهم" [٢].

ثم ما تبع موت النبى من تبعات في أمر الخلافة، واختيار الخليفة، ثم ما حدث في سقيفة بنى ساعدة . فبلغ الخبر الإمام على فقال لهم ... " فهلاً أحتجيتم عليهم بأن رسول الله ﷺ وصى بأن يحسن إلى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم؟" .

---

(١) ذكره السيوطي في كتابه " تاريخ الخلفاء" ص ١٣٧.

(٢) مسلم فى صحيحه ص٩١٦ حديث رقم ٢٥١٠ كتاب فضائل الصحابة.

فنظر الصحابة بعضهم إلى بعض تنتابهم الدهشة عن مابها من حجة، فقال الإمام على: " لو كانت الإمارة فيهم لم تكن الوصية بهم " [1]

فأي عقل هذا الذى يخرج المضمون من بين خفايا النصوص وأي عقل هذا الذي شكل هذه الحكمة . ومن هذا السياق يمكن القول : " إن العلم هو العامل الذي يعمل بكل العوامل المعمول بها على تطوير العقل، وترقيته من درجة إلى أخرى؛ حتى يرقى به في التفكير والتصور، والتدبر إلى أسمى المعانى" وبطبيعة الحال الحكمة هي أحداها ما لم تكن أسماها، فلولا علم وفقه أبي بكر لما كان أحكم الصحابة فهماً عند نزول (سورة النصر) .

ولولا حكمة عمر ﷺ التي سنمت به إلى درجة الإلهام لما وافق ربه في أسرى بدر وآية الحجاب، واتخاذ مقام إبراهيم مصلى، والصلاة على المنافقين .... وغيرها.

وننتقل من حكمة الخلفاء إلى بعض من حكم آل بيت النبي: اغتسل الحسن ﷺ وخرج من داره في بعض الأيام وعليه حلة فاخرة ووفرة ظاهرة ومحاسن سافرة فعرض له في الطريق شخص من محاويج اليهود وعليه مسح من جلود، قد أنهكته العلة، وركبته القلة والذلة، وشمس الظهيرة قد شوت شواه وهو حامل جرة ماء على قفاه فاستوقف الحسن ﷺ، وقال: يا ابن رسول الله، سؤال:

---

[1] نهج البلاغة ص ٨٠ ، شرح الإمام محمد عبده الجزء الأول ، مكتبة مصر.

قال : ماهو؟

قال: جدك يقول " الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر" [١] وأنت مؤمن وأنا كافر. فما أرى الدنيا إلا جنة لك تتنعم بها، وما أراها إلا سجناً على قد أهلكني ضرها وأجهدني فقرها،

فلما سمع الحسن كلامه قال له:

يا هذا لو نظرت إلى ما أعده الله لي في الآخرة لعلمت أني في هذه الحالة بالنسبة إلى تلك فى سجن، ولو نظرت إلى ما أعده الله لك في الآخرة من العذاب لرأيت أنك في جنة واسعة [٢] .

ومن هذا السياق يمكن تعريف الحكيم: بأنه ذاك الشخص الذي يحكم تصرفاته بعقله فقلما يخطأ، ونادراً ما يسقط، ويصعب عليك أن تلحظ عليه ذلة في القول أو خطأ في الإجابة، فما سمى العقل بهذا الاسم إلا لمنعه صاحبه عن المحظور أو المنكر[٣] .

وقد روى أن الحسن والحسين رأيا أعرابياً يخفف الوضوء والصلاة فلم يشاءا أن يجبهاه بغلطه وقالا له : " نحن شابان وأنت شيخ ربما تكون

---

(١) مسلم فى صحيحه ص ١٠٦٥ حديث رقم ٢٩٥٦، مكتبة فياض للنشر والتوزيع. وكذلك الترمذى في سننه حديث ٢٣٢٤

(٢) محمد رشيد رضا فى كتابه " الحسن والحسين " صـ ٣٢.

(٣) العقل مشتق من مادة " عقل" التى يؤخذ منها العقال.

أعلم بأمر الوضوء والصلاة منا، فنتوضأ ونصلي عندك، فإن كان عندنا قصور تعلمنا"، فتنبه الشيخ إلى غلطه دون أن يأنف من تنبيههما إليه [١].

وكان هذا من حكمة الحسن والحسين حيث علموا الشيخ ما أرادا أن يتعلمه دون أن يشعر بما يحتاج إلى تعلمه ومن مثل هذه الأمور تعلم أبو هريرة، روى عن سليمان مولى عثمان بن عفان ، قال:

" جاءنا أبو هريرة، عشية الخميس ليلة الجمعة، فقال: أحرج علي كل قاطع رحم لما قام من عندنا. فلم يقم أحد. حتى قال ثلاثاً فأتى فتى عمة له قد صرمها منذ سنتين فدخل عليها. فقالت له: (يا ابن أخي ما جاء بك؟ قال: سمعت أبا هريرة يقول كذا وكذا..

قالت: ارجع إليه فسله لم قال ذاك؟

قال: سمعت النبى ﷺ يقول:

" إن أعمال بني آدم تعرض على الله تبارك وتعالى عشية كل خميس ليلة الجمعة، فلا يقبل عمل قاطع رحم". [٢]

وعليه يمكن القول: إن الحكمة تستمد من كثرة التجارب، ولعل هذا التعريف يفسر سبب اقتران مفهوم الحكمة بمفهوم كبر السن وطول

---

(١) د/ محمد راتب النابلسي فى كتابه "ومضات في الإسلام" الباب الثامن الفقرة (من ١٩ : ٤٤) الأدب في الدعوى إلى الله. وكذلك ذكر عبد الحليم الجندي في كتابه أبو حنيفة " بطل الحرية والتسامح " ص ٣٩، دار المعارف ، الطبعة الثالثة.

(٢) البخاري في كتابه الأدب المفرد ص ٢٥ حديث رقم ٦٠ .

العمر. ولكن يبقى السؤال: ما الفرق بين الحكمة والدهاء؟ على الرغم أن الفرق بين تعريف الكلمتين كبير جدا إلا أن التمييز بينهم دقيق للغاية. ويتجلى واضحا في تلك القصة:-

" كان يزيد يحب زينب بنت اسحاق ويهواها هوى أدنفه[1] وسبب له المرض، وكانت زينب أشهر فتيات عصرها بالجمال، وقد كانت متزوجة من والي العراق من قبل معاوية: عبد الله بن سلام. فلما اشتد مرض يزيد في هواها فضح أمره بعض فتيان قصره حتى علم معاوية بالخبر فأرسل فى طلب: عبد الله بن سلام . واجتمع إليه أبا الدرداء وأبا هريرة وقالا لهما:

" إن له ابنة يريد زواجها ولم يرض لها حليلاً غير ابن سلام؛ لدينه وفضله وشرفه ورغبة معاوية فى تكريمه وتقريبه" . فخضع عبد الله بن سلام بما بلغه من رغبة معاوية تزويجه ابنته، فوكل معاوية الأمر لأبي هريرة ليبلغها ويستمع جوابها، فكان جوابها المتفق عليه بينها وبين أبيها: -

" أنها لا تكره ما اختاروه ولكنها تخشى الضر وتشفق أن يسوقها إلى ما يغضب الله" فطلق ابن سلام زوجته واستنجد معاوية وعده. فإذا بمعاوية يقول بلسان ابنته : " إنها توجس من رجل يطلق زوجته وهي ابنة عمه وأجمل نساء عصره".

فسمع سيدنا: الحسين بن علي ﷺ بهذه المكيدة فسأل أبا هريرة أن يذكره عندها فصدع لأمره وقال لزينب: " إنك لا تعدمين طلاباً خيراً من

---

(١) أدنفه: أشتد مرضه.

عبد الله بن سلام"، قالت: من؟ قال: يزيد بن معاوية والحسين بن علي، وهما معروفان لديك بأحسن ما تبتغيه في الرجال، فاستشارته في اختيار أيهما، فقال أبو هريرة: (لا أختار فم أحدٍ على فمٍ قبله رسول الله ﷺ ، تضعين شفتيك فى موضع شفتيه).

فقالت: " لا أختار على الحسين أحداً، وهو ريحانة النبي، وسيد شباب أهل الجنة" فاختارته ثم أعادها الحسين إلى زوجها[1] ، ولما بلغ معاوية فعل أبي هريرة قال: " من يرسل ذا بلاهة وعمى يركب من أمره خلاف ما يهوى ولقد كنا بالملامة منه أولى حين بعثناه " ..

هذه القصة تشمل شقين:-

فأولاً: ترد على شبهة أن أبا هريرة صنيعة الأمويين إذ فضل وزكى الحسين بن علي ﷺ على يزيد مع علمه بالعداء بينهما .

ثانياً: في مضمون هذه القصة يمكن التفريق بين الحكمة والدهاء فالطريقة التي أدار بها معاوية عجلة الأحداث لا تنبع إلا من ماكر . أما الحسين بن علي ﷺ أحبط مخططهم ببساطة دون تصادم أو إحداث شق بينهما. وهذه هي الحكمة بعينها .وعليه يمكن القول أن المكر والدهاء لطالبي الدنيا إذ يصلون إلى ما يحبون بشتى السُبل خصوصاً إذا ما كان دهاة العرب بالترتيب هم: المغيرة بن شعبة وزياد ابن أبيه وعمرو بن

(١) ذكره عبد الحليم الجندي في كتابه : أبو حنيفة بطل الحرية والتسامح في الإسلام . لكنه ذكر أن اسمها: أرينب بنت إسحق. ص٨٢ ، .

العاص[١] وجميعهم كانوا في كفة واحدة في مواجهة: على بن أبي طالب. ثم الحسن ﷺ بعده، وهما بيت الحكمة.

وإذا ما قلنا أن الصراع بين: علي ومعاوية ﷺ كان صراع بين الدولة الدينية والدولة الدنيوية كما شبهه العقاد [٢].

---

(١) ابن الأثير في كتابه " أسد الغابة " ص ٢٢٤ الجزء الخامس إن الشعبي قال:- " دهاة العرب أربعة : معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وزياد بن أبيه".

(٢) فقد رُوِيَّ أن عمرو بن العاص في الفتنة بين علي ومعاوية تردد في شد الرحال وحط الرحال؛ فقال له غلامه وردان (كان وردان من الموصوفين بالدهاء أيضاً) :- أما إنك إن شئت بدأتك فى نفسك :- اعترضت الدنيا والآخرة على قلبك فقلت:- مع علي الآخرة بلا دنيا ، ومع معاوية الدنيا بلا آخرة ، فأنت واقف بينهما . فقال عمرو:- ما أخطأت ما في نفسي، فما ترى ياوردان؟ فقال:- أرى أن تقيم فى منزلك فإن ظهر أهل الدين عشت في دينهم، وإن ظهر أهل الدنيا لم يستغنوا عنك، فقال عمرو:- الآن حين شهرتنى العرب بمسيري إلى معاوية؟

كذلك روى ابن الأثير في أسد الغابة ص ٥٧ الجزء الرابع :- إن عقيل بن أبي طالب ترك أخاه وسار إلى حزب معاوية، فقال له معاوية يوماً.. " هذا أبو يزيد لولا علمه بأني خير له من اخيه، لما أقام عندنا" فقال عقيل:- " اخي خير لي في ديني، وأنت خير لي في دنياى، وقد آثرت دنياى، وأسأل الله خاتمة خير بمنه" .

وروى أن عمرو بن العاص قال لمعاوية:- أترى أننا خالفنا علياً لفضل منا عليه؟ ... لا والله إن هي إلا الدنيا نتكالب علىها، وأيم الله لتقطعن لي قطعة من دنياك وإلا نابذتك".

ويمكن القول أن الحكمة تنبع من طالبي الدين، والمكر والدهاء ينبع من طالبي الدنيا، وهذا يفسر قول قيس بن سعد بن عبادة " لولا إني سمعت رسول الله ﷺ يقول " المكر والخديعة في النار لكنت من أمكر هذه الأمة [١] ".

وكذلك روى البخاري في كتابه الأدب المفرد عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :- " المؤمن غر كريم، والفاجر خب لئيم [٢].

---

(١) الحاكم في المستدرك حديث رقم ٨٨٣١، ذكر ابن الأثير في كتابه "أسد الغابة".

(٢) البخارى في كتابه الأدب المفرد ص ١٠٦ حديث رقم ١٩٧.

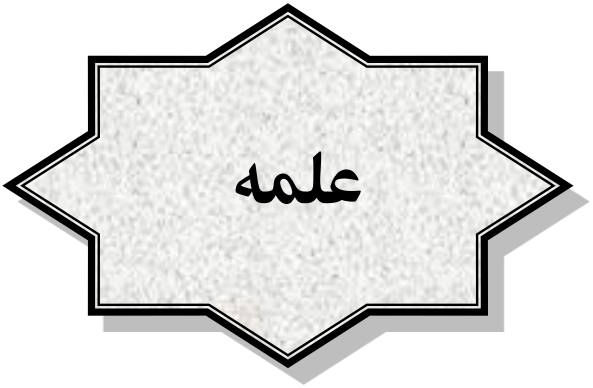
علمه

وتن[١] أبو هريرة بين يدي رسول الله(ﷺ) ليصبح الوتين[٢] ابن بضع وثلاثين سنة [٣] الذى طوحت به الدار فهداه الله إلى الإسلام ثم استقر به النوى [٤] إلى حيث نور المصطفى(ﷺ) فدخل بين أحضان الحكمة فتعلق بالعلم، ووضعه نصب عينه، فأضفى عليه لوناً جمل حياته ومُرخ قلبه[٥] بحبه حتى أنه ظمأ فما سد عطشه قدر، وما أفضى بحاجته مقدار، وسعى حتى بلغ، وحلم حتى حقق، وتمنى حتى نال. فقد جاء ﷺ بين يدى رسول الله (ﷺ) حديث الإسلام فصبر وثابر حتى صار وعاء الحديث وقد وقف الجوع حاجز بينه وبين نفسه لكنه عجز أن يحجز بين نفسه والعلم، فعلم الله صدق نفسه فى طلبه للعلم وخلاص نيته معه فرزقه الله إياه فضُمخ [٦] بأحاديث النبى فأفغم المكان بعطرها وشذاه بريحها فروى عن

---

(١) وتن: أقام .

(٢) الوتين: المولود تخرج رجلاه قبل رأسه.

(٣) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ص ٤٥٩ الجزء الثامن إن أبا هريرة قال : " قدمت ورسول الله (ﷺ) بخيبر سنة سبع، وانا يومئذ زدت على الثلاثين سنة سنوات" .

(٤) استقر به النوى: أى مكان الإقامة.

(٥) مُرخ: أى دُهن بالمروخ، والمرخ: الطيب.

(٦) ضمخ : دهن بالشئ، يقال: ضمخت الفتاة كفها بالخضاب: أى دهنتهم.

النبى حتى شرئت [١] شفتاه فهو زافرة [٢] من زوافر الإسلام بلا زافرة من الأهل، وهو الغريب المقيم بين يدى الحبيب، وهو الذى ارتدى ثوب الإسلام قشيباً [٣] ليكون للمصطفى(ﷺ) رفيقاً، فقد ضن على طلب المال بوقته فجحنه [٤] حتى جُحن [٥] وألقى الدنيا دُبره فتعلقت بإزاره فبسطت له ذراعيها في نهاية المطاف فعنها عاف وزهد، وترك العيش الرغيد ليوم الوعيد، وقد كان يحمد الله على هذه النعم فيقول: (الحمد لله الذى هدى أبا هريرة للإسلام الحمد لله الذى علم أبا هريرة القرآن ، الحمد لله الذى مّن على أبى هريره بمحمد(ﷺ)[٦] وروى ابن سعد: فى طبقاته أنه قال: " الحمد لله الذى جعل الدين قواماً "، وجعل أبا هريرة إماماً. حمد الله فاستحق الهبة وشكره فاستحق الزيادة.

وقد بحثت في مواطن عدة لأجد شيئاً يمكن به أن أوضح حال أبى هريرة فى بداية إسلامه فلم أجد أوضح من ذلك الحديث، عن أبى هريرة

---

(١) شرئت: أى تشققت.

(٢) زافرة : للشئ أى ركن ، وللإنسان أى العشيرة.

(٣) قشيب: أى جديد.

(٤) جحن: أى ضيق عليه في المعيشة.

(٥) جُحن: أى صابه مرض من ضيق العيش.

(٦) رواه الخمسة وقال عنه الترمذى حديث حسن صحيح، وكذلك ذكره بن كثير في البداية والنهاية ص ٤٦١ الجزء الثامن.

ﷺ قال: (سأل رجل رسول الله ﷺ) فقال: يا رسول الله إنا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء فإن توضأنا به عطشنا أفنتوضأ بماء البحر؟ فقال رسول الله ﷺ: " هو الطهور ماؤه الحل ميتته " (١)

ويبقى السؤال: كيف لأبى هريرة أن يجهل اسم الصحابي في الحديث ويذكره بقول رجل رغم قوة حفظ أبى هريرة المعهود بها.

والجواب أنه كان في بدايات إسلامه فكان أشبه بالطفل إذ يحبو ببطء لكي يتعلم الركض، ويحفظ الكلمات مع ثعثعة ثناياه وفهفهة شفتاه لكي يتعلم حسن القول ويجيد الفقاهة فيه، فكان لابد له في بداياته أن يجهل بعض الناس. وأجمل ما كان يجمل شخص أبي هريرة هو خلو ذهنه من كل شئ عدا شغفه بالعلم، وأنه كان يتعامل على أن العلم هو كل ما يملك، وهو الميراث الأوحد الذي يجب أن يتنافس فيه المتنافسون فقد روى عن أبي هريرة أنه مر ذات يوم بسوق المدينة وقد هاله انشغال الناس في الدنيا فوقف عليها فقال: يا أهل المدينة ما أعجزكم!! قالوا: وما ذاك يا أبا هريرة؟ قال: ذاك ميراث رسول الله ﷺ يقسم وأنتم ههنا، ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه؟ قالوا وأين هو؟ قال في المسجد فخرجوا سراعاً، ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا فقال لهم: ما لكم؟ قالوا: يا أبا هريرة فقد أتينا المسجد فدخلنا فلم نرى فيه شيئا يقسم فقال لهم أبو هريرة: وما رأيتم فى المسجد أحداً؟ قالوا: بلى،

(١) رواه مالك في الموطأ باب الطهور للوضوء ص ٢٠، دار الفجر للتراث..

رأينا قوماً يصلون، وقوماً يقرؤون القرآن، وقوماً يتذاكرون الحلال والحرام، فقال لهم أبو هريرة: ويحكم، فذاك ميراث محمد ﷺ [1] كان هذا رأيه وكان هذا الرأى الذي يشكل عقيدته.

وإن نفسي لتسأل نفسها أحياناً: ما معنى أن أبا هريرة أكثر صحابة النبي حديثاً بحديثه وحفظاً لحديثه وفي الوقت نفسه أكثر من يدور حوله الضباب وأكثر من يستره الوغش[2] الذي يصعب على من لا يملك بصيرة أن ينفذ بصره خلالها، وإذا ما اضفنا على كل ما أعطاه الله له من أفضال وأنعم عليه من نعم أنه عالم من علماء الأمة، وأنه الشريان الذي تدفق منه الدم الذي يروي المحدثين ويمد الفقهاء وأن النفس جُبلة على احترام العلماء، فكيف به يحظى بهذا القدر من الهجوم والسعة من القيل والقال؟ وفي الحقيقة مهما اجتهدت في هذا الأمر ومهما حاولت أن أتكلف في هذا الأمر أكثر ما أطاعني عقل وما جاراني منطق. فهو رضي الله عنه لم يكن من صغار الصحابة فجهل الناس سيرته ولم يكن من الذين يتنقلون في بحار الفتن فتموج حوله الشبهات ولم يكن من الذين ينحازون لفئة دون الأخرى فتستقطبه إحداهما وتمقته الأخرى وقبل أن نشرح سبب هذا الهجوم في هذا العصر تحديداً يجب علينا أن نوضح شئ فهمه يقودنا لنصف الفهم الذى يُفهمنا هذا اللغز، إن الهجوم على أبى هريرة

---

(١) الطبراني في المعجم الأوسط ص ٢/١١٥ .

(٢) الوغش: أى فروع الشجر الكثيف، والمقصود هنا: الشبهات

بدأ بعد القرن الثالث الهجري، بما يعني أنه ﷺ سلم أذى القوم حتى هذا الحين تحديداً وقد كان عالي المقام بين صحابته فى عصره وشهد له كبار الصحابة بذلك وقد افتتح البخارى كتاب البيوع في صحيحه بحديث سعيد بن المسيب أن أبا هريرة ﷺ قال: " إنكم تقولون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ وتقولون ما بال المهاجرين والأنصار لا يحدثون عن رسول الله ﷺ بمثل حديث أبى هريرة وإن أخوتي من المهاجرين كان يشغلهم صفق بالأسواق وكنت ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطنى فأشهد إذا غابوا وأحفظ إذا نسوا وكان يشغل أخوتى من الأنصار عمل أموالهم وكنت أمرأ مسكيناً من مساكين الصفة أعى حين ينسون". وعن أبى أنس بن أبى عامر قال: " كنت عند طلحة بن عبيد الله إذ دخل رجل فقال : يا أبا محمد والله ما ندرى هذا اليماني أعلم برسول الله ﷺ منكم، أم يقول على رسول الله ﷺ ما لم يسمع قال: " إنا كنا قوماً أغنياء لنا بيوتات وأهلون وكنا نأتى رسول الله ﷺ طرفي النهار نرجع، وكان هو مسكيناً لا مال له ولا أهل، وإنما كانت يده مع رسول الله ﷺ وكان يدور معه حيث ما دار فما نشك أنه قد علم ما لم نعلم وسمع مالم نسمع". [1] فكانت هذه شهادة أحد العشرة المبشرين بالجنة له، فكيف بمن لا يأمن أن يتزحزح عن النار بمقدار أُنملة أن يخالفه ثم يزاد الأمر إلى حد الجرأة

---

(١) رواه الترمذى في كتابه " مشكاة النبوة " عن أبي اليسر.وكذلك ذكره ابن كثير في كتابه " البداية والنهاية " ص ٤٦٥ ، الجزء الثامن .

عليه، ولماذا فى عصور الكذب فقط انتشر هذا الهجوم؟ وماذا يبغي هؤلاء من هجومهم على شخصه (ﷺ) ؟! وإذا ما فتشت بين صفحات الكتب ونبشت بين سطورها لم تجد إجابة إلا في صفحات الحديث.

عن أبي هريرة (ﷺ) قال:

قلت يا رسول الله ﷺ ادع الله أن يحببنى وأمي إلى عباده المؤمنين ويحببهم إلينا فقال : اللهم حبب عبيدك هذا وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحببهم إليهما " [١] بموجب هذا الحديث أصبح حب أبي هريرة مقصوراً على المؤمنين ، وبالتالي كرهه واجب على المنافقين وبهذا يمكن تفسير أن الهجوم على أبي هريرة ازداد حدة وقوى شوكه فى عصور الكذب. يقول أبو هريرة :- " فما خلق الله من مؤمن يسمع بى ولا يراني أو يرى أمي إلا وهو يحبنى". [٢] وقيل لأبى أيوب الأنصارى: أنت صاحب رسول الله ﷺ وتحدث عن أبي هريرة ؟ فقال: "إن أبا هريرة قد سمع ما لم نسمع، وإنى إن أحدث عنه أحب إلىّ من أن أحدث عن رسول الله ﷺ " يعنى ما لم أسمعه منه".[٣]

---

(١) ابن كثير في كتاب " البداية والنهاية " ص ٤٥٦، الجزء الثامن، دار التوفيقية للتراث.

(٢) رواه مسلم فى صحيحه ص ٩١٠ حديث رقم ٢٤٩١.

(٣) ابن كثير في كتاب " البداية والنهاية " ص ٤٦٠، الجزء الثامن، وكذلك الذهبي في كتابه " سير أعلام النبلاء " ٢/٦٠١ .

ومن عجائب الأمور أنهم يهاجمونه بالتالى:

يقول بعضهم إنه كان يكذب على رسول الله ﷺ فى حين أن رسول الله ﷺ قال له بعد ما سأله عن حديث الشفاعة: " لقد ظننت يا أبا هريرة أن أحداً لا يسألني عن هذا الحديث أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث" [١] وقال بعضهم إنه كان يكره آل البيت فى حين أن زوج ابنته: سعيد بن المُسيب [٢] وهو أشد أعداء الدولة الأموية وأشد المحبين

---

(١) البخارى في صحيحه ص ٧٧٦ حديث رقم ٦٥٧٠ ، وكذلك ابن كثير في كتاب " البداية والنهاية " ص ٤٥٧، الجزء الثامن .

(٢) ذكر ابن كثير في كتاب " البداية والنهاية " من ص ١٠٠ : ١٠١، الجزء التاسع إن سعيد بن المسيب بن حزن بن أبى وهب. هو أعلم الناس بحديث أبي هريرة وزوج ابنته، وروى عن جماعة من الصحابة والتابعين، قال عنه ابن عمر:- كان سعيد أحد المفتين، وكان أعلم أهل الأرض كلها في زمانه" ، وقال سعيد بن المسيب عن نفسه :- " إنه ما فاتته التكبيرة الأولى منذ خمسين سنة " ، يقول مكحول:- " طفت الأرض كلها في طلب العلم فما لقيت اعلم من سعيد بن المسيب، قال الربيع عن الشافعي أنه قال:- " إرسال سعيد بن المسيب عندنا حسن" ، قال أبو حاتم:- ليس في التابعين أنبل منه، وهو أثبتهم في أبي هريرة خطب عبد الملك بن مروان ابنته لابنه الوليد فأبى سعيد أن يزوجه بها وزوجها لكثير بن أبي وداعة بدرهمين، لما جاءت بيعة الوليد إلى المدينة في أيام عبد الملك ضربه نائبه على المدينة هشام بن إسماعيل وأطافه المدينة، وعرضوه على السيف فمضى ولم يبايع، ولما رجعوا به رأته أمرأة فقالت:- ما هذا الخزي يا سعيد؟ فقال:- من الخزي فررنا إلى ما ترين ..

لآل البيت والأهم من ذلك أنه كان يعادي من يعاديهم ولو شك لحظة أن أبا هريرة من المنتفعين من الدولة الأموية وأنه صنيعة معاوية كما يقولون، لكان موقفه غير الموقف ولتواترت إلينا أنباء عن خلاف نشأ وعداء شب بينهما ولعل أغرب ما قيل فيه إن بعضهم عاب عليه فقره ونسوا أن النبي ربى صحابته على الزهد وحذرهم من بسط الدنيا حتى أنه عندما بسطت لهم الدنيا يديها وأودقتهم[١] بعظيم خيراتها، وخبشت [٢] لهم الغنائم من شتى أطرافها لتلقى بها بين يدي المسلمين فكان سبي جالولاء وانتصار القادسية وذات الصواري وتوالت الانتصارات حتى طمت الغنائم فابُتلّى المسلمون بكثرتها فقال: عبد الرحمن بن عوف ﷺ " ابتلينا مع رسول الله ﷺ بالضراء فصبرنا ثم ابتلينا بالسراء بعده فلم نصبر" [٣] تجد أن أبا هريرة يكف يده عن أكل الشعير مقتدياً بخليله، ونفس الموقف كان قد تكرر مع عمر بن الخطاب ﷺ إذ أنه منع يده أن تمدد على وليمة: خالد بن الوليد إشفاقاُ عليها أن تأكل طعاماً لم يأكله صاحبيه، فقصصهم رضى الله عنهم تتشابه لدرجة توهم القارئ بأنها تتكرر .

---

(١) أودقتهم: أى أمطرتهم، فى قوله تعالى" فترى الودق يخرج من خلاله " سورة النور : آية ٤٣.

(٢) خبشت : أى جمعت.

(٣) الترمذى فى سننه حديث رقم ٢٤٦٤.

وهذا الإجماع الذي فاز به أبو هريرة على عظيم علمه وانتصر له ممن حاولوا هزيمته يلفت انتباهنا إلى شئ هام جدا. عن إبراهيم بن عبد الله بن قارظ قال: مررت بأبي هريرة وهو يتوضأ . فقال : أتدرى مما أتوضأ؟ من أثوار قط أكلتها. لأني سمعت رسول الله ﷺ يقول (توضأوا مما مست النار) [١] فهذه طريقة أبى هريرة فى سرد حديثه وإذا ما أحدثنا مقارنة بين هذا الأسلوب فى سرد الحديث وبين أسلوب عبد الله بن عمر. عن أبي وائل قال: (كان عبد الله بن عمر يُذكر الناس فى كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، لوددت أنك ذكرتنا كل يوم . قال: أما إنه يمنعني من ذلك أنى أكره أن أملكم وإني أتخولكم بالموعظة كما كان النبى (ﷺ) يتخولنا بها مخافة السآمة علينا)[٢] فما بين هذا السياق وذاك يتضح لنا أن أبا هريرة هو الذي أجبر: عبد الله بن قارظ على أن يعلم الحديث، فكان هذا أسلوبه فى عرض الأحاديث ونشر العلم دون مراعاة لحالة المستمع أو لمقدار تقبل الطالب لما يوضع بين يديه متغاضياً عن الحالة البشرية للمستمع. حيث كانت عبقرية النبى(ﷺ) تحض على معرفة الحالة النفسية للصحابة قبل أن يحدثهم بما نزل عليه من الوحى، فالعلم حكمة يجب أن تنظر حيث تضعها فلا يستقر طفل في غير رحم أمه، روى أن رجل قال لعمر بن عبد العزيز: متى أتكلم ؟ قال إذا

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه ص ١٣٢ حديث ٣٥٢.

(٢) البخارى فى صحيحه ص ٧٦١ حديث رقم ٦٤١١.

اشتهيت الصمت ، قال: ومتى أصمت؟ قال: إذا اشتهيت الكلام. فكان هناك شبه إجماع من الصحابة على ملامته في أسلوب سرده للحديث ، كما كان هناك إجماع على قدراته وتمكنه فيه.

عن عروة بن الزبير قال: قال لى أبي الزبير:- " أدنني من هذا اليماني - يعني أبا هريرة - فإنه يكثر الحديث عن رسول الله (ﷺ) قال: فأدنيته منه، فجعل أبو هريرة يحدث بينما جعل الزبير يقول: صدق كذب، صدق كذب.. قلت : يا أبه ما قولك صدق كذب؟ قال : يا بنى أما أن يكون سمع هذه الأحاديث عن رسول الله (ﷺ) فلاشك ولكن منها ما وضعه على مواضعه، ومنها ما وضعه على غير مواضعه" [١]،

روى الترمذي أن ابن عمر قال لأبى هريرة :- "كنت ألزمنا لرسول الله (ﷺ) وأعرفنا بحديثه [٢] وجلس أبو هريرة إلى حجرة عائشة، فيحدث ثم يقول: يا أمة أتنكرين مما أقول شيئا ؟ قال: ابن عباس: (فلما قضت صلاتها، لم تنكر مارواه، لكن قالت: لم يكن رسول الله (ﷺ) يسرد الحديث سردكم. [٣] فلم تنكر حفظه أو سماعه عن النبى (ﷺ) إنما

---

(١) ابن كثير في البداية والنهاية ص ٤٦٠ ، الجزء الثامن ، دار التوفيقية للتراث.

(٢) ذكر بن كثير في البداية والنهاية ص ٤٥٨ : ٤٥٩ ، الجزء الثامن إن ابن عمر قال:- " أنت يا أبا هر كنت ألزمنا ولأعلمنا بحديثه" .

(٣) الترمذي فى سننه حديث رقم ٣٦٣٩.

أنكرت سرده للحديث) [1] لكن رغم أن هذا الصدع كان ظاهر في عصره فاستقطب عيون الكثير إليه إلا أنه فى عصر كعصرنا يعد ميزة كبيرة. فلولا أن أبا هريرة تمادى في سرد الأحاديث دون رادع لضاع منها الكثير ولما أسعفه العمر لضيق سعته على احتواء الأحاديث بعظم مسطحاتها، ولولا أن جميع الضوابط سقطت أمامه فكان يُحدث دون قيود ويتكلم دون تعسف لما ضبطنا نحن الفقه ولما قبضنا على السُنة، ولكن هناك شئ غريب أيضاً في شخصيته يتجلى واضحاً في هذا الحديث الذي ذكرناه عندما وصفنا رد فعله تجاه أهل المدينة عندما رآهم قد انشغلوا بالدنيا فقال لهم: "ذاك ميراث رسول الله ﷺ يقسم وأنتم هاهنا ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه" فكان ﷺ يتعامل على أن الناس يشبهون شخصه تكويناً ومضموناً، فيبدو أنه كان يفرض عليهم- حفظ الأحاديث - بناءاً على ما يراه في نفسه حيث أنه كان يركض خلف العلم فخُيل إليه أن كل من حوله يركضون معه فكان يُعلمهم ما يعلم، وهذا الأمر يستحيل واقعياً، إذ أن الناس أشكال وطينتهم ألوان وكل منهم يسلك طريقاً مختلفاً التوجه عن الآخر، فذاك يحب العلم، وهذا يحب الجهاد، وذاك يحب المال، وهذا يحب السلطة ولكن طبيعة العلماء تغفل هذا المفهوم غالباً.

---

(١) يقول ابن كثير في البداية والنهاية ص ٤٥٩ الجزء الثامن: "إن عائشة تأولت أحاديث كثيرة من أبي هريرة ووهمته في بعضها، وفي الصحيح أنها عابت سرد الحديث أى الإكثار منه في الساعة الواحدة".

فالعالم بطبيعته يزدري من لا يتعلم، فهو يشعر أن بين يديه معدن أغلى من العسجد لكن لا يوجد من يأخذه، ويتكابد مع نفسه فجزء منها يحاول أن يجبره على السكوت ولكن يبقى الجزء الآخر لا يسكن إذ ان غيرة العالم تدفعه دفعاً فغالباً ما ينتصر. فالعالم لا يحب أن يرى احد مما حوله يجهل ما يعلم، ويتذمر إذا ساقه القدر بين من لا يقدر قيمة العلم ويتضجر من مجالسة الجهلاء ويتأذى من سماع آرائهم ويمرض من دوي أفكارهم، وكذلك المجاهد الشجاع يتذمر من رؤية الجبناء وتستهويه مشاهدة الشجعان، فكل نفس تزدري ما يناقض طبيعتها فقد بكى سعيد بن المسيب، وعندما سأله عطاء عن السبب قال:- ليس أحد يسألني عن شئ[١] وخرج: سفيان الثوري. من عسقلان لأنه رأى انها بلد بلا علم [٢] وكان الطبري يلوم تلاميذه على ضعف الهمة. ولما كانت الهمة أهم ما يميز العلماء وأحرص ما يحرصون عليه بين تلاميذهم؛ فلابد وأن تتجلى واضحة قوية في شخص كشخص أبي هريرة.

ومن أعظم ما روى عن عظيم همته وروائع إصراره وعظم إرادته تلك التي قالها مدافعاً عن نفسه إذ استكثروا حديثه فقال: " إن الناس

---

(١) ذكر أبو حامد الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين عن عطاء أنه ﷺ قال: دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكي، فقلت ما يبكيك ؟ قال: ليس أحد يسألنى عن شئ.

(٢) ذكر أبو حامد الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين نقلاً عن السلف أن سفيان الثوري رحمه الله قدم عسقلان فمكث لا يسأله إنسان فقال:- أكروا لي لأخرج من هذا البلد، هذا بلد يموت فيه العلم.

يقولون: أكثر أبو هريرة ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثاً، ثم أخذ يتلو: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ ﴾ [البقرة: ١٥٩] إلى قوله { الرحيم } إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن أخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ بشبع بطنه ويحضر ما لا يحضرون ويحفظ ما لا يحفظون [١] ، وروى البخاري فى صحيحه أن سعيد بن المسيب قال:- إن أبا هريرة رضي الله عنه قال:- " إنكم تقولون إن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ وتقولون ما بال المهاجرن والأنصار لا يحدثون عن رسول الله ﷺبمثل حديث أبي هريرة وإن أخوتى من المهاجرين كان يشغلهم صفق بالأسواق وكنت ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني فأشهد إذا غابوا وأحفظ إذا نسوا وكان يشغل إخوتي من الأنصار عمل أموالهم وكنت أمرأ مسكيناً من مساكين الصفة أعي حين ينسون ".[٢] وقد ذكر البخارى هذا الحديث فى بداية كتاب البيوع ؛ كأنه أراد القول بأن طلب العلم والمال لا يجتمعان عند رجل واحد. فلا يستوى من قدم العلم ولأجله أزاح كل ما خلفه مع من كان يتلقى العلم بالترنح مع مستلزمات الحياة.

عن سعيد المقبري قال . قال أبو هريرة (رضي الله عنه) "يقول الناس أكثر أبو هريرة، فلقيت رجلاً فقلت: بما قرأ رسول الله ﷺ البارحة في العتمة؟

---

(١) البخارى فى صحيحه ص ٢٦ حديث رقم ١١٨ .

(٢) البخارى فى صحيحه ص ٢٤٠ حديث رقم ٢٠٤٧ .

فقال: لا أدري فقلت: لم تشهدها؟ قال: بلى، قلت: " لكن أنا أدري، قرأ سورة كذا وكذا" [١] فإذا كان البعض ينسى السورة التى قُرأت في العتمة قبل مرور أكثر من يوم عليها فكيف يلام أبا هريرة على ما حفظ بين صدره من أحاديث وما اتسع له جوفه من علم وجميع صحابة النبي يعلمون مقدار قوة ذاكرته ؛ وكان يكفيه دعاء النبي له ولعل أعظم القصص التي توضح قوة ذاكرة أبو هريرة تلك التي يرويها: أبو الزعيزعة كاتب مروان بن الحكم فيقول:-

دعا مروان أبا هريرة فجعل يسأله، واجلسني خلف السرير وجعلت أكتب عنه، حتى إذا كان رأس الحول دعا به، فأقعده من وراء الحجاب فجعل يسأله عن ذلك الكتاب، فما زاد ولا نقص ولا قدم ولا أخر[٢] فمروان بن الحكم. يصر على اختباره فتارة يختبر كرمه وتارة يختبر حفظه وفي كُلٍ ينجح أبوهريرة بإقتدار بعدما يُحنق عليه الإختبار بلا رأفة فاستحق ثقة الصحابة والتي بدورهم نقلوها إلى التابعين ليدونوها حتى تصل إلينا كتبهم قد فجت بأحاديثه، وانثعبت برواياته فكان يتسابق التابعون كُلٌ قبل الآخر ليحظى بالنصيب الأكبر مما في صدره من معادن نفيسة وعلى رأسهم: سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف.. وغيرهم.

---

(١) البخاري فى صحيحه ص ١٤٨ حديث ١٢٢٣، دار بن الجوزى.

(٢) ابن كثير في البداية والنهاية ص ٤٦٤، الجزء الثامن .

وكانوا يتابعون تصرفاته ويحفظونها لعلمهم بأنه لا يخالف سنة النبى ﷺ وأنه أحد النجوم التي إن اقتدينا بأيهما اهتدينا . فكان سعيد بن المُسيب يقول: " صليت وراء أبي هريرة على صبي لم يعمل خطيئة قط، فسمعته يقول: اللهم أعذه من عذاب القبر" [1] وروى الإمام مالك في الموطأ عن نافع عن ابن عمر قال: " شهدت الأضحى والفطر مع أبى هريرة . فكبر في الركعة الأولى سبع تكبيرات قبل القراءة، وفي الآخرة خمس تكبيرات قبل القراءة".

وقال أبو زرعة:

"إن أبا هريرة (ﷺ) دعا بوضوء فتوضأ وغسل ذراعيه حتى جاوز المرفقين، فلما غسل رجليه جاوز الكعبين إلى الساقين " فمن الواضح أن العيون كانت تُصب عليه لتقتفي من هداه الذي شكل من الرحمة المهداة، ولو أنه حاد عن ذلك مقدار ذرة لانقلبت الأرض عليه، فمن ذا الذي يكون من صحابة رسول الله ﷺ ويكذب على رسول الله ﷺ وكيف لصحابة رسول الله ﷺ أن يتركوا بينهم من يكذب على رسول الله ﷺ فقد أخبر عبد الرحمن بن الحارث مروان أن عائشة وأم سلمة أخبرتاه أن رسول ﷺ كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم. وقال مروان لعبد الرحمن بن الحارث: " اقسم بالله لتقرعن بها أبا هريرة. ومروان يومئذ على المدينة فقال أبو بكر: فكره ذلك عبد الرحمن ثم قدر

---

[1] الإمام مالك في الموطأ ص ١٥٢ حديث ١٨ كتاب الجنائز، دار الفجر للتراث.

لنا أن نجتمع بذي الحليفة وكانت لأبي هريرة هنالك أرض فقال: عبد الرحمن لأبي هريرة: " إني ذاكر لك أمراً ولولا مروان أقسم على فيه لم أذكره لك فذكر قول عائشة وأم سلمة فقال: " كذلك حدثني الفضل بن عباس وهن أعلم ".

فعندما تربت يد: مروان. على خطأ لأبي هريرة ما ترك الفرصة تتسحسح من تحت يده، وكأن شئ نفيس جاءه من حيث لا يحتسب وحتى عندما امتنع عبد الرحمن بن الحارث. على أن يواجه أبا هريرة بهذا الأمر حياء من الرجل العظيم إحدى أساطين العلم صاحب العلم والعمل المخلد إلى الأبد والاسم البراق في كتب التاريخ وجد أن: مروان. يلح ويلحف في السؤال ليكسب بها خطوة على شخصه فهو دوناً عن كل الآخرين اختبر أبا هريرة تارة في الكرم فلم يجد أكرم منه وتارة في الحفظ فلم يجد أحفظ منه وعندما وجد هفوة مبررة من أبي هريرة ما رحمه، فما ظنك إذا كانت هناك هفوات أخرى؟! أن قوة حفظ أبي هريرة علت فوق الدرجات، وارتفعت فوق كل القمم فأعجزت العقول، وأدهشت الألباب فكان إذا أراد أحد من الصحابة حديثاً بحث عن أعظم المحدثين، وإذا أراد رواية بحث عن الراوية، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف أنه سمع حسان بن ثابت الأنصار يستشهد أبا هريرة فيقول: يا أبا هريرة نشدتك بالله هل سمعت رسول الله ﷺ يقول: " يا حسان أجب عن رسول

الله ، اللهم أيده بروح القدس ؟ قال: أبو هريرة : نعم [١] فقد علم حسان قدره فاستشهد به، وعلم حفظه فسأله خاصة، وعلم أنه لا ينسى فسأله أمام العامة .

جاء رجل إلى زيد بن ثابت فسأله عن شئ . فقال له زيد (عليك أبا هريرة) [٢].

فزيد بن ثابت اختاره لعلمه بفقهه وأشار عليه بالبنان ليقينه بعظيم علمه، وقال: أبو هريرة عن نفسه " ما من أصحاب النبى ﷺ أحد أكثر حديثاً عنه منى إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب" [٣] ومن المعروف أن عبد الله بن عمرو. كان يكتب كل شئ عن النبي ﷺ حتى أخذ عليه صحابة النبي ﷺ ذلك لكن النبى ﷺ أجاز له فكتب حتى أكثر، وأكثر حتى بالغ في الكثرة فكان صاحب الصحيفة الصادقة. ولكن المعروف أن أحاديث عبد الله بن عمرو. لم تكن تقارن بأى حال بتلك الحشود الضخمة التي كانت تتجمع في ذهن أبي هريرة ولكن يبقى السؤال: إذا كان عبد الله بن عمرو أكثر الصحابة حديثاً فأين ذهبت أحاديثه؟ ولما لم تنتشر كأحاديث أبي هريرة؟ أبسب أنه كان يحفظ وضعت له أسبقية على من يكتب؟ أم بسبب انه كان ينشر الأحاديث ببزخ

---

(١) مسلم في صحيحه ص ٩٠٩ حديث رقم ٢٤٨٥.

(٢) الحافظ ابن حجر في الإصابة ٤/٢٠٨ قال عنه حديث حسن.

(٣) البخارى فى صحيحه صـ ٢٦ حديث رقم ١١٣، دار بن الجوزي القاهرة.

بينما كان عبد الله بن عمرو. مشغول بالعبادة ، إضافة إلى كثرة انتقاله من مكان إلى آخر. أم أن أبا هريرة أخطأ تقدير قدره؟ أم أنه قال هذا الحديث قبل دعوة النبي له وإذا ما نحينا أمر عبد الله بن عمرو. جانباً وبحثنا بين الآخرين قالت عائشة لأبي هريرة إنك لتتحدث عن النبى ﷺ حديثاً ما سمعته منه فقال أبو هريرة: يا أمة طلبتها وشغلك عنها المرآة والمكحلة وما كان يشغلني عنها شئ [١] فأم المؤمنين أقرت أبا هريرة . في كل موضع وضع أمامها لتحكم فيه وحكمت فأنصفت وطُلبت شهادتها، فقالت كلمتها فأنصفته أمام عبد الله بن عباس وسائر الصحابة. روى البخارى عن أبو النعمان حدثنا جرير بن حازم قال: - سمعت نافع يقول:- حُدث ابن عمر أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: (من تبع جنازة فله قيراط).

فقال : (أكثر أبو هريرة علينا) . فصدقت – يعني عائشة – أبا هريرة رضي الله عنه وقالت: (سمعت رسول الله ﷺ يقوله)

فقال ابن عمر رضي الله عنه (لقد فرطنا فى قراريط كثيرة) [٢]

فبالتأكيد أن مواقف كهذه تحتاج إلى تحليل وطول تفكير فأبو هريرة رضي الله عنه شهد له الجميع بصدقه وحفظه ولكنهم كانوا يتمحصون فيما يقول تارة، ويسألونه بلهجة يشوبها التعجب تارة أخرى لكنهم ما شككوا في صدقه قط . فما السبب؟

---

(١) ابن كثير في البداية والنهاية ص ٤٥٩، الجزء الثامن، دار التوفيقية للتراث.

(٢) البخاري فى صحيحه ص ١٦٠، حديث ١٣٢٣ ، دار ابن الجوزي.

استقر الصحابة على صدقه وشهدوا له بحفظه وراح بعضهم ليستشهد برواياته ثم عاد عبد الله بن عمر يقول: (أكثر أبو هريرة علينا) وقالت عائشة رضي الله عنها: "إنك لتتحدث عن النبى حديثاً ما سمعته منه " [1]

فقولهم هذا جاء نتيجة كثرت الأحاديث التي رواها بذاك المعدل الذي يفوق العقل ويتخطى حاجز الحذر. فكتب الأحاديث حملت اسم أبى هريرة منفرداً بشكل يرجح كفته. فكان لابد للعقل أن ينظر بتمعن محاولاً إدراك ما يجهله وينظر بتأمل محاولاً الوصول إلى الأسباب التي أدت إلى تلك النتائج " فليس كل ما تعجز على فعله يعجز عنه الآخرون وليس كل ما تفعله يفعله الآخرون" .

فعندما تكثر بطولات شخص إلى حد أن عقلك لم يعد يستطيع تقبلها، وحدود المنطق عندك لم تعد تستطيع التصديق. فعليك بالتريث في التفكير، وطول التحليل، وربط الأحداث، والتأكد من مصداقية الرواة وقراءة المشهد جيداً قبل الحكم، فالناس بطبيعتهم مختلفون فى الطبيعة ومتفاوتون في القدرات . أما إذا أردت أن تصل إلى نموذج البطل فعليك أن تختار النموذج، ثم تدرس، وتحلل، وتحسن التفكير في الأسباب التي شكلت شخصه والمكونات التي كونت هيكله، والأسباب التي سببت

---

[1] طبقات ابن سعد، وكذلك ذكر ابن كثير في البداية والنهاية أنها قالت له: " أكثرت الحديث عن رسول الله يا أبا هريرة.

صلابته، ثم تنظر نظرة الحصيف[١] إلى مميزاته وعيوبه، وتقارنها بنفسك لتضيف إليها ما ينقصها وتحذف منها ما يعيبها، وتبحث ما يتماشى مع طبيعتك، وتعوض ما يتجاهلك، ثم تضع ذاك النموذج نصب عينيك فلا يحيد عنها طرفة عين، ولا يريم مكانه عن قلبك سنة وتتمسك بالإصرار وتتحلى به وتجعله معك أينما ذهبت فيكون لك عضداً إذا فتت قواك وعصا إذا ألقت أمامك العقبات وساعدا إذا اشتدت عليك الضربات.

روى بكير بن الأشج، قال :- قال لنا بشر بن سعيد: " اتقوا الله وتحفظوا من الحديث، فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة فيحدث عن رسول الله ﷺ ويحدثنا عن كعب الأحبار، ثم يقوم فأسمع بعض من كان معنا، يجعل حديث رسول الله ﷺ عن كعب وحديث كعب عن رسول الله ﷺ فاتقوا الله وتحفظوا في الحديث" [٢] .

فإذا كان الصحابة والتابعين عجزوا عن الحفظ إلى حد أن خلطوا حديث النبي بغيره فكيف يُقرع أبو هريرة على حفظه؟! وكيف أن أبا هريرة لم يكتفي بعلم الأحاديث فنبش عما فى التوراة ؟! فهل حب العلم قد يصل فى إنسان إلى هذا المدى، وهل المدى في الحب له قدر يصل إلى هذا المقدار ، أم له مقدار لا يقدر بقدر .

---

(١) الحصيف: الحكيم.

(٢) ابن كثير في كتابه " البداية والنهاية" ص ٤٦٠،الجزء الثامن ، دار التوفيقية.

ولايتــه

لم تكن ولاية أبي هريرة خلافة فتتحاكى الأجيال بها، وتتهافت الأخياف لتدوينها كخلافة عمر بن الخطاب، ولم تكن ولايته بالذي نستطيع أن نذكر فيها حسن الإدارة وجمال الفكر وروعة الإرادة مما استدعى لجب القوم على مر الدهر وخيس باسمه بين رقام التاريخ وزج سيرته بين مطايا العظام وخلد ذكره بين ثنايا السميدع والقيمئ لكنها كانت مجرد ولاية لجزء في وجود الكل ما لم يميزه شئ يطفو به إلى السطح وما لم يتحمل حمله شئ فيُعبّر عن مدى ثقله.

فنحن لم نلحظ شئ مميز في ولاية أبي هريرة سوى تلك القبسات التي يمكن أن نستخرج منها هيبة العالم، وجمال فكره في التعامل مع الآخرين، وبعض مما نستطيع القول فيه إنه الفارق بين الدولة المدنية في نظام إداراتها، والدولة العسكرية في هيكلها من الجانب الآخر. أو الفرق بين الدولة السياسية التي تستتر خلف المكر تارة، وخلف الدهاء تارة أخرى أو أنها كانت تلك الولاية التي تراق بها الدماء فتزهو في حينها ثم يلعنها التاريخ بعد ذلك كزياد ابن أبيه وابنه من بعده. فعبيد الله بن زياد بعدما قتل الحسين وآل بيت النبى ﷺ صعد إلى المنبر وخطب ...

" الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله، ونصر أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبه، وقتل الكذاب ابن الكذاب الحسين بن على وشيعته" [1] فبينما تشعر الأمة الإسلامية بالحرج، وتلطخت جباه أبنائها بالعار في أمانة

(١) ابن كثير في " البداية والنهاية" ص ٥٣٥ ، الجزء الثامن ، المجلد الرابع.

لم يصونوها للنبي في آل بيته، وفى ذل وانكسار ما دفعوه عن السيدة زينب .

صعد هذا إلى المنبر قائلاً تلك الكلمات دون أن تمنعه نخوة العرب من ذلك، ودون أن يزوده لسانه عن منطق لا يقنع إلا من كان في قلبه مرض، فعن أي أمير للمؤمنين يتكلم، وما ذاك الحزب الذي يتكلم عنه.

فأى حزب ذلك الذي يكون شمر بن ذي الجوشن [١] وعبيد الله بن زياد في كفة، وسيد شباب أهل الجنة وآل بيته في الأخرى. وأي حزب ذاك الذي يتركه الحر بن يزيد في أوج الحاجة إليه قائلاً:- " إني أخير نفسي بين الجنة والنار، ولا أختار على الجنة شيئا ولو قُطعت أو حُرقت". [٢]

ومن ذاك الكذاب الذي يهفو لسانه بذكره. فمن ينادى بالصادق إذ كذب سيد شباب أهل الجنة مرة ثم زوج ابنة النبى ﷺ ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة في الأخرى. لكنها جرأة المهند [٣] التي دفعت اللسان معها فزادته جرأة على جرأة، أو ربما نطق لسانه بكلام غير مقنع على أمل أن

---

(١) كان أبرص، وروى ابن كثير في البداية والنهاية ٨/٥٣٢ إن الحسين بن على ﷺ قال:- قال رسول الله ﷺ:- " كأني انظر إلى كلب أبقع يلغ في دماء أهل بيتي، حديث ضعيف .

(٢) ابن كثير في " البداية والنهاية" ص ٥٢٥ ، الجزء الثامن ، المجلد الرابع.

(٣) المهند: السيف

يقتنع به قلبه، فيخفف بعض من وخز الضمير؛ ويزيل بعض من طلاء العار الذي شيم بهم في قاع التاريخ.

أو ربما أن سيفه الأفاك [١] افتقد الدماء فأراد بهذه الكلمات أن يستفز شخص كعبد الله بن عفيف الأزدي فيقول له " يا ابن مرجانة! أتقتل أبناء النبيين، وتقوم على المنبر مقام الصديقين؟ إنما الكذاب أنت وأبوك والذي ولاك وأبوه" [٢] ثم يأمر بقتله حتى يزجر ألسنة الغير على قول حقيقة كهذه فيما بعد. أو ربما أن دافع التشفي قد أثاره؛ فلم يجد وسيلة تداوي غليله سوى السيف. أو ربما أن عقدة النسب والتي لولاها لما انضم أباه إلى حزب معاوية من قبل قد أثارت حقده الدفين فراح ينتقم من كل ذي شرف ولا شرف يعلو فوق شرف الحسين بين قومه، فهو من هو وأبوه بيت العلم والحكمة ورابع الخلفاء الراشدين، وأمه بنت رسول الله ﷺ. والحقيقة أن ذاك العمود من النسب يحتاج إلى مجلدات لوصفه ولكن في المقابل فإن عبيد الله بن زياد كان ينادى بأمه فيقال له: يا ابن مرجانة ، كما كان ابوه ينادى بأمه فيقال له: ياابن سمية . على كل حال ما أردت قوله من هذا الأمر هو ذاك التوضيح الذي يضع الخط الفاصل بين الدولة المدنية والدولة العسكرية والدولة السياسية التي تشملها معاً تارة، وتشمل المكر والخديعة تارة أخرى. فالنعمان بن بشير

---

(١) الأفاك : الفتاق.

(٢) ابن كثير في " البداية والنهاية" ٨/٥٣٥ ، مرجع سابق.

(أمير الكوفة) بعدما بايع سيدنا الحسين ﷺ على يد مسلم بن عقيل بن أبي طالب أكثر من إثنا عشر ألف شخص قال:- " إني لا أقاتل من لا يقاتلني، ولا أثب على من لا يثب على ....." [١] ، بينما زياد بن أبيه كتب إلى معاوية في إحدى رسائله: " إنى قد ضبطت العراق بيميني وشمالي فارغة" وسأله أن يوليه الحجاز [٢] .

فتلك اللغة التي يتحدث بها أهل القوة، فلا يذكر إلا الساعد، ويجنب الحكمة مقابل كلمات من التعالى. فالنعمان بن بشير بعقلية الصابرين لم يواجه المشكلة بحد السيف بعكس ما فعل عبيد الله ابن زياد الذي استباح كل شئ لأجل دنياه، ولم يراعى شرف القتال ولا أخلاق الفرسان بعكس ما فعل مسلم بن عقيل حين عرض عليه شريك بن الأعور أن يقتل: ابن زياد أثناء زيارته له في بيته لكنه رفض الغدر [٣] . ولو قتله مسلم لنجاه أمام الله من عظم ذنب قتل الحسين بن علي ﷺ . وما هذا السلوك بجديد؛ فقد ضرب عمه الإمام على ﷺ من قبل نموذج يحكي عزة العرب وعلو شرفهم يوم الجمل فقال: " لا تتبعوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تقتلوا أسيراً، وإياكم والنساء وإن شتمن أعراضكم

---

(١) ابن كثير في " البداية والنهاية" ص ٥٠٠ ، الجزء الثامن ، المجلد الرابع.

(٢) الذهبى في " سير أعلام النبلاء" ص ٤٩٧.

(٣) ابن كثير في " البداية والنهاية" ص ٥٠١ ، الجزء الثامن ، المجلد الرابع.

وسببن أمراءكم ، فلقد رأيتنا في الجاهلية وإن الرجل ليتناول المرأة بالجريدة أو الهراوة فيعير بها، هو وعقبه من بعده" [٤] .

وعلى كل حال قد يتوهم القارئ أن ملك يزيد لم ينجو إلا بالتدخل العسكري لكن هذا ظاهر الأمر أما جوهره أن ملك يزيد ظل يستقبل الثورات تلو الثورات، والصدمة تلو الصدمات، وظل هشاً متصدعاً وسرعان ما توفى يزيد وخلفه ابنه: معاوية. الذى أعلن في الناس بأنهم في حل من بيعته و ما كان انتصار ابن زياد . سوى انتصار لحظي خلف بعده كوارث .

ومما سبق نستطيع القول إن الدول لا تتقدم إلا بالاستقرار ولا تبنى على أجساد القتلى فالانشقاق أي كان نوعه وسببه بين أفراد الشعب الواحد لا يولد إلا النزاع؛ والنزاع دفين لو اشتعل أشعل معه البلاد. فإذا أراد الملك الظافر بعدوه لملكه أن يستقر فيكفي أن يخمد صوت عدوه أما تماديه في الدماء يزيد من الحقد ضده ويزيد من دائرة أعدائه؛ فالدماء لا تولد إلا الدماء.

يقول ميكافيللى:

" فإنك أيها الأمير ستكون في حاجة دائمة إلى حب الناس حتى تستطيع السيطرة على بلادهم مهما كانت قوة جيشك " [٢]

---

(١) نصب الراية ، تحقيق مواقف الصحابة.

(٢) ميكافيلى في كتابه " الأمير" .

وينصح أيضا الملك الفاتح لمدينة جديدة بأن يجنب أهلها التعامل مع الجيش حيث كيف يرضى الابن بأن تقر عينه وهى لا تزيغ عن قاتل أبيه، وكيف يرضى الأخ لنفسه أن تهدأ وهي تتعطش لدماء قاتل أخيه ؟!

أما تعامل رجال السياسة مع أهل المدينة يخفف من وطأة الكره فيزيلها تماما بمرور الوقت، فيجب بعد الفتح أن يكون الوالي ذات طابع لين فتلين له القلوب، فالدولة العسكرية تحمي البلاد من تطاول الأعداء وتحافظ على هيبة الوطن أما الدولة المدنية تتميز باللين على رعاياها والرفق بهم.

فبينما كان أبو هريرة. أمير لمروان على المدينة (كان يحمل الحطب على ظهره ماراً في السوق فيقول لثعلبة بن أبي مالك: أوسع الطريق للأمير يا ابن أبى مالك .. فيقول: يرحمك الله، يكفي هذا، فيقول أبو هريرة: أوسع الطريق للأمير والحزمة عليه [١].

وروى أيضا أنه رأى الصبية يوماً يلعبون لعبة الغراب، فتسلل بينهم وهم لا يشعرون حتى ألقى نفسه بينهم، وضرب برجليه الأرض (كأنه مجنون) يريد بذلك أن يضحكهم فيفزع الصبيان منه ويفرون ضاحكين [٢] وبالتأكيد أن الطابع المدني يغلب على أبي هريرة حتى وأن طُمر بالشجاعة العسكرية. فلذلك كانت أخلاقه كذلك وبالمقابل فإن صحابي :

---

(١) ابن كثير في " البداية والنهاية" ص ٤٦٤ ، الجزء الثامن ، المجلد الرابع.

(٢)ابن كثير في " البداية والنهاية" ٨/٤٦٤ ، وكذلك ذكر ابن سعد في كتابه " تهذيب طبقات الصحابة".

كخالد بن الوليد [1] . كان يغلب عليه الطابع العسكري فكان سيفه أسرع جوابا وأقوى بيانا.

وبالمقابل صحابي كالمغيرة بن شعبة . كانت تغلب عليه تلك الشخصية السياسية التي تحصل على ما تريد بسهولة وتنال ما تحب بالعقل. فقد روى عن زيد بن اسلم : (أن عمر استعمل المغيرة على البحرين، فكرهوه؛ فعزله عمر فخافوا أن يرده فقال دهقانهم: إن فعلتم ما آمركم لم يرده علينا .. قالوا: مرنا .. قال: تجمعون مائة ألف حتى أذهب بها إلى عمر فأقول أن المغيرة اختان هذا .. قال: فجمعوا له مائة ألف، وأتى عمر فقال ذلك. فدعا عمر المغيرة فسأله .. قال المغيرة: كذب أصلحك الله، إنما كانت مائتي ألف .. قال عمر: فما حملك على هذا قال: العيال والحاجة .. فقال عمر لدهقان البحرين: ما تقول؟ .. قال:

(١) سماه النبى ﷺ سيفاً من سيوف الله بعد غزوة مؤتة، وكان لخالد ﷺ عبقرية حربية بلغت به الأساطير فوردت للمسلمين نصر وصدرت للأعداء هوس بقدراته الفذة، فقيل إن قائد الروم جورج برز سأله: أحق أن الله أنزل على نبيكم سيفاً من السماء، فأعطاه لك فلا تسله على قوم إلا هزمتهم ؟ (الطبرى فى تاريخه ٣/١٤١) أرسله النبي ﷺ إلى بني جذيمة فقتل منهم من لم يجز له قتله فقال النبي ﷺ :- " اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد". كما أخذ عليه عمر بن الخطاب ﷺ قتله مالك بن نويرة ". (ابن الأثير في " أسد الغابة " ٢/١٣٤ ، وابن سعد في " تهذيب طبقات الصحابة " ص ٢٨٢ – ٢٨٣") .

والله لأصدقنك. ما دفع إلى قليلاً ولا كثيراً .. فالتفت عمر للمغيرة قائلاً: ما أردت إلى هذا؟.. قال: الخبيث كذب على فأردت أن أخزيه .

هذا هو المغيرة الذي قال عنه قبيصة بن جابر:- " صحبت المغيرة بن شعبة فلو أن مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها إلا بمكر لخرج المغيرة من أبوابها كلها" (١).

وهذا هو المغيرة الذي أضعف معنويات الفرس في معركة القادسية بجملته الشهيرة: " قد بعث الله إلينا رسولاً قال له:-إني قد سلطت هذه الطائفة – يعني الصحابة رضوان الله عليهم- على من لم يدن بديني فأنا منتقم بهم منهم، وأجعل لهم الغلبة ما داموا مقرين به وهو دين الحق، ولا يرغب عنه أحد إلا ذل، ولا يعتصم به أحد إلا عز (٢). كما أضعف معنويات المشركين من قبل فأجبرهم على عقد صلح الحديبية فهذه هي السياسة التي أقصدها (أن تنال ما تريد بأقل الخسائر وأن تصنع ما تتمنى بنضيض الجهد) شرط أن تقيد هذه التصرفات بالشرع وتطابق التشريع، فأحيانا يبتكر السياسي شيئا قد يبدو ناجحاً جداً في وقته لكنه كارثي في مستقبله. فإن الملكة الروسية: كترينا. شكت كسل رعيتها فبدلاً من أن تحاول ابتكار طريقة لتحفز بها رعيتها أرشدت إلى حمل النساء على الخلاعة وأحدثت كسوة المراقص، فتسارع الشبان في العمل وتسابقوا في

(١) ابن كثير في " البداية والنهاية" ص ٣٩٩ ، الجزء الثامن .

(٢) " ابن كثير في " البداية والنهاية" ص ٣٦ ، الجزء السابع .

كسب المال لصرفه على ربات الجمال فتضاعف دخلها المادي على حساب الرصيد الأخلاقي لشعبها. وكذلك المغيرة بن شعبة . فبعدما عزله معاوية ذهب به دهائه إلى ابتكار طريقة لتجبره على إعادته؛ فاقترح على يزيد أن يوليه أبوه الخلافة من بعده قائلاً: "إن أصحاب النبى وكبراء قريش قد ذهبوا، وبقى الأبناء وأنت من أفضلهم، فلا أدري ما يمنع أمير المؤمنين أن يعقد لك البيعة". فلما علم معاوية بما قال المغيرة أعاده لولاية الكوفة حتى يتم له البيعة فيها، وينظر الأمر مع ثقات أهل الكوفة.(١)

فالمغيرة نال ما أراد لكن على حساب أنه أحدث شيئا ما سبقه به أحد قبله (أي تولية يزيد). فجلب على الأمة ما جلب من فاجعة مقتل

---

(١) ابن كثير في البداية والنهاية ، وكذلك ذكر العقاد في كتابه معاوية بن أبى سفيان لكن جلال الدين السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء ص ١٦٤ ذكر إن الحسن البصري قال:- " أفسد أمر الناس اثنان: عمرو بن العاص يوم أشار على معاوية برفع المصاحف فحملت، ونال من القراء، فحكم الخوارج، فلا يزال هذا التحكيم إلى يوم القيامة، والمغيرة بن شعبة فإنه كان عامل معاوية على الكوفة فكتب إليه معاوية . إذا قرات كتابي فأقبل معزولاً، فأبطأ عنه، فلما ورد عليه قال: ما أبطأك ؟ قال: أمر كنت أوطئه وأهيئه، قال: وما هو؟ قال: البيعة ليزيد من بعدك قال: أو قد فعلت ؟ قال: نعم ، قال: إرجع إلى عملك، فلما خرج قال له أصحابه: ما وراءك؟ قال: وضعت رجل معاوية في غرز غي لا يزال فيه إلى يوم القيامة. وقال الحسن البصري معلقاً على فعل معاوية والمغيرة:- " فمن أجل ذلك بايع هؤلاء لأبنائهم، ولولا ذلك لكانت شورى إلى يوم القيامة".

الحسين ﷺ ، واستباحة مسرف بن عقبة للمدينة ؛ ووقعة الحرة وكل هذا. لذلك سواء كانت السياسة أو الحكمة أو الدهاء يجب أن تحاط بتعاليم الشرع وإلا صارت منايا على حاملها.

أما الخيار العسكري فهو ليس من صنع رجل السياسة لكن يلجأ إليه رجل السياسة بعد أن تحكم الأحداث عليه بذلك. كما ان رجل السياسة بدون قوة عسكرية تجبر الآخرين على الانصياع له مجرد رجل يتكلم دون مستمع فالاثنان يكمل كل منهما الآخر، فحينما تكون الأقوى عسكرياً تفرض شروطك؛ وحينما تكون الأضعف تُملى عليك رغبات الآخرين رغماً عنك.

وقد اختصر ميكافيللى كل معاني السياسة في تلك الكلمات " على كل من يعد الضروريات لتأمين إمارته الجديدة أن يؤمن نفسه ضد أعدائه، وأن يكسب الأصدقاء وأن يحبه الشعب ويخشاه حيث يسير جنوده خلفه ويحترموه، وأن يسحق كل من يستطيع أن يؤذيه أو من الممكن أن يؤذيه. وأن يستبدل القديم من الأوضاع بكل ما هو حديث وأن يكون صارماً وشفوقاً فى نفس الوقت، كريم الخصال واسع المدارك، وأن يحافظ على صداقته مع الملوك والأمراء بطريقة تسعدهم إذا فعلوا ما يفيده، وتخيفهم منه إذا ناله منهم مضرة" .

وقد ذكرت كل ماسبق بهدف توضيح شخصية أبي هريرة خلال فترة ولايته، فإنها كانت تلك الفترة التي نستخلص منها أخلاق العلماء، وتواضع الصالحين. فقادتنا إلى تلك الحياة التي يتساوى فيها الراعي مع الرعية في الحقوق بمقدار ما يحفظ لهم العرف ذلك بمعدل نعرف منه نحن سهولة

الحياة ما لم تمتد يد الكبر لتكبر معها حجم المشكلات ونستمد منها صفاء المجتمع ما لم تلوثه فروق الطبقات التى تولد السخيمة. فأن رجل بمواصفات كتلك يصعب عليه أن يحكم إلا في تلك المجتمعات التي تتسم بالإيمان، وتعرف بحسن طباع أهلها بعكس المغيرة الذي امتاز بالغلظة والتي بسببها منعه المقوقس الهدايا ؛ فما كان يجوز له أن يحكم إلا تلك المجتمعات التي يمتاز أفرادها بالتمرد فلا تردعهم إلا الغلظة.

ومما سبق يمكن القول أن سياسة حكم الشعوب ليس لها ثوابت ولا قواعد، فلذلك كان يحكم من لا يستحق تارة، وتارة أخرى يعزل من هو خليق بالإمارة، وتارة يجلس على العرش من قذفته الصدفة.

وفاته

الحياة لا تقاس بعدد وجبات الطعام أو عدد ساعات النوم لكنها تقاس بعدد ما تركت خلفك من بصمات، وعدد ما خلفت من رصيدك العلمي أو مقدار التغيير الذي أضفته لدينك ووطنك، فالمرء في آخر لحظات حياته يشبه الطالب الفاشل حينما يوشك الامتحان على نهايته ولا يتبقى سوى تلك اللحظات التي نقول عنها نحن: فوات الأوان.

فيتذكر لحظات المرح ويبكي على لحظات التقصير، ويتذكر نصائح الآخرين ويبكي على عدم الإنصات إليهم، ويتذكر أوقات اللعب ويبكي على قصر لحظات الجد، ويزداد ألم فوق ألمه كلما امتدت عيناه على زميل له طالما أنتقده بالأمس على أسلوب حياته وجديته المبالغ فيها طبقا لمفهومه وهو اليوم يسابق الوقت ويسبقه، ويتحايل ليحصل ولو على دقيقة ليفرغ بها أفكاره ويظهر فيها إبداعه كطالب، فالمجتهد يتمنى إطالة الوقت ليبدع أكثر فأكثر، أما الفاشل يتمنى إطالة الوقت لأنه لا يجد ما يكتبه فتخيل صحيفة الأول، وتخيل صحيفة الثاني.

فكذلك الحياة عندما توشك على الموت تدور برأسك كل ذكريات حياتك لتبكي على عمر ضاع بلا هدف، وليسمع لك النشيج على دهر انقضى وليس له عودة.

قد تسأل نفسك . لماذا لم أكن صلاح الدين الأيوبي أو قطز أو الصالح نجم الدين؟

وحينما تفتش في عملك لتقارنه مع عمل هؤلاء لن يغيثك الوقت، ولن يمهلك ملك الموت وقتاً على وقتك .. روى أن عمر بن الخطاب قال في أخريات أيامه: " لو استقبلت من أمري مااستدبرت لأخذت فضول أموال

الأغنياء فقسمتها على الفقراء".[١].. فعمر بن الخطاب ﷺ وهب حياته لتقوية أركان الدولة الإسلامية فمات على ما وهب حياته له؛ فكان في آخر لحظات حياته يستخلص صالح الأفكار من فاسدها بما يقوي كيان الدولة الإسلامية.. وروى أن خالد بن الوليدﷺ لما حضرته الوفاة قال: " لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها، وما في بدني موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية، وها أنا أموت على فراشي كما يموت البعير" [٢] . فهكذا يبني العظماء مجدهم، وبهذا يخلد ذكرهم، فالناس كثير لكن لا ذكر لهم بعد الهلاك، والأفعال قبيحها وحسنها تتناوب في اليوم الواحد بما لا يحصيه عدد لكن يبقى فعل هؤلاء، فهم قادة خلف قائدهم رسول الله ﷺ فمنهم يستمد النور، وبفعلهم نجد الصواب.

ذكر عبد الحق الإشبيلي في كتابه " العاقبة في ذكر الموت" :- "إن رجلاً كان واقفاً على باب داره وكان بابها يشبه باب حمام مجاور له، فمرت به جارية لها منظر وهى تقول:- أين الطريق إلى حمام منجاب، فقال لها:- هذا حمام منجاب... وأشار إلى داره، فدخلت الدار فدخل وراءها، فلما رأت نفسها معه في داره وليست بحمام علمت أنه خدعها، فعلمت أنه لا نجاة لها منه إلا بالحيلة والخداع. فأظهرت له البشر والفرح باجتماعها معه

---

(١) الطبرى في تاريخه، واستشهد بها العقاد في كتابه عبقرية عمر.

(٢) ابن الأثير في " أسد الغابة" ص ١٣٥ ، الجزء الثانى ، واتشهد بها عباس العقاد في كتابه عبقرية خالد .

على تلك الخلوة في تلك الدار، وقالت له:- يصلح أن يكون عندنا ما يطيب به عيشنا وتقر به عيوننا من طعام وشراب، فقال لها:- الساعة آتيك بكل ما تريدين وبكل ما تشتهين، وخرج فتركها في الدار، ولم يغلقها، وتركها مفتوحة على حالها ومضى. فأخذ ما يصلح لهما ورجع، ودخل الدار فوجدها قد خرجت وذهبت، ولم يجد لها أثراً، فهام الرجل بها، وأكثر الذكر لها والجزع عليها، وجعل يمشي في الطرق وهو يقول:

يا رب قائلة يوماً وقد تعبت أين الطريق إلى حمام منجاب

وظل على هذا الحال إلى حين نزلت ساعة احتضاره، فقيل له.. قل لا إله إلا الله .. فلم يستطع وجعل يقول :

يارب قائلة يوماً وقد تعبت أين الطريق إلى حمام منجاب

وعندما تقارن موقف كهذا مع موقف: أبي يوسف القاضي. في موته حيث جاءه تلميذه إبراهيم بن الجراح، فقال له: يا إبراهيم ، ما تقول فى مسألة ؟ فقال له متعجباً : وانت في هذه الحالة ؟! فقال أبو يوسف لا بأس بذلك، ندرس ، لعله ينجو به ناجٍ ! فمن هذه الأمور تدرك الفارق بين العظماء وغيرهم.

فالأول: كان منشغلاً بشهواته فمات باحثاً عنها، أما الثاني كان منشغل بالعلم عن غيره، فمات طالباً له كما عاش بين أكنافه، فاستحق أن يخلد اسمه في التاريخ، فما خلى كتاب فقه من ذكره، وما خلى ذكر من

اسمه .. فأبو يوسف القاضي. بين سجلات التاريخ محفوظ اسمه وبين سطوره مرقوم.

وهذه هى هيئة الحياة التي يعيشها العلماء بوجه خاص والعظماء بشكل عام، فهم يقاتلون في كل دقيقة ولأجل كل دقيقة والوقت عندهم مقدس، وضياعه جذبة مكربة [١]، لا يعرفون اللهو كما لا يعلمون إلا الجد، يتثاورون فى سبيل الفكرة، ويستنشقون الألم لأجل تحقيقها، تعرفهم بسيماهم منذ الصغر وتنجذب لتصرفاتهم في الكبر.

وهيئتهم بين الرجال تعرف ونظرتهم من بين العيون تكتشف فقد روى صالح بن كيسان فقال: "رأى بعض متفرسى العرب معاوية وهو صبى صغير ، فقال: إنى لأظن هذا الغلام سيسود قومه، فقالت هند: ثكلته إن كان لا يسود إلا قومه " [٢] .

يقول سحيم مولى أبى هريرة ﷺ : " دخل عبد الملك – وهو شاب – على أبى هريرة ﷺ، فقال أبو هريرة : هذا يملك العرب " [٣]

وعن عبيدة بن رياح انه قال:

قالت أم الدراء لعبد الملك: مازلت أتخيل هذا الأمر فيك منذ رأيتك، قال: وكيف ذاك؟

---

(١) جذبة مكربة: كناية عن الموت.

(٢) ابن كثير في " البداية والنهاية" ص ٤٦٨ ، الجزء الثامن ، مرجع سابق.

(٣) السيوطي فى " تاريخ الخلفاء" ص ١٣٢ ، دار الفجر للتراث.

قالت: ما رأيت أحسن منك محدثاً، ولا أعلم منك مستمعاً [١]

فهيئة: معاوية. أجبرت من يراه على أن يعلم أنه سيد سيسود العرب ومنطق عبد الملك أجبر من يستمع له على التنبؤ له بالملك، فتصرفات العظماء ظاهرة لمن يعقل، واضحة لمن يرى، تراهم يقرضون الصعوبات، يلتهمون المعوقات، ويمضون في طريقهم دون رادع، لا يلتفتون خلفهم، وعيناهم لا تحيد عن الهدف، طبيعتهم خاصة جداً وخصوصيتهم بطبيعة خاصة. يقول عبد الرحمن الكواكبي: " خلق الله للمجد رجالا يستعذبون الموت في سبيله" [٢] فمن الناس من يفضل الموت على أن يحيا بما لا يليق به، ومن الناس من يرضى بالحياة أي كانت وسيلتها مقابل دقائق أو ساعات تضاف إلى عمره. فقد قيل لأحد الثوار: ما فائدة سعيك غير جلب الشقاء على نفسك؟ فقال: ما أحلى الشقاء في سبيل تنغيص الظالمين .. فكذلك العلماء تراهم باغضين الحياة مستعذبين العذاب في سبيل العلم.

فالعلم للعالم عالم بلا معالم، يحاول أن يستكشفه مهما كلفه ذلك من ثمن، وكذلك العظماء يركضون خلف هدفهم بكل ما أوتوا من قوة، فعندما تبحث عن سيرة شخص كتوماس أديسون . قد انتابه الفشل فى تسع وتسعين وتسعمائة بعد تسعة آلاف تجربة لكي ينجح في تجربة واحدة تتعجب من صبره وثباته، وقتاله لأجل الحلم.

---

(١) السيوطي فى " تاريخ الخلفاء" ص ١٣٢ ، دار الفجر للتراث.

(٢) ذكرها عبد الرحمن الكواكبى فى كتابه " طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد" .

وعندما تبحث فى سيرة شخص كصلاح الدين الأيوبي حرم على نفسه الضحك أو التبسم قبل أن يحرر المسجد الأقصى من أعداء الإسلام؛ وكرس حياته لأجل هذا الأمر تعلم أن ملامح المجد، ومسحة العظمة ركنوا إليه منذ الصغر.

فقد روى أن أباه رآه يوماً يلعب مع الصبية وكان عمره دون العشرة الأعوام فحمله وألقى به على ظهره، فأخذت الأب رحمة على ابنه من عظم الضربة.

فقال له آلمتك: فقال صلاح الدين : نعم .. فقال الأب: لما لم تصرخ؟ قال صلاح الدين: كيف أصرخ وأنا من سيحرر الأقصى؟ .. فهذه شيم الذين من خلقهم يمكن أن تستمد صفات المجد وشعبه، وكيف يبذل الجهد لنناله؟

وعندما تقارن كل هذه النماذج بنموذج شخص كأبي هريرة . عاش لأجل العلم، ولأجله استغنى عن المال، وترك المال في نفس الوقت الذي تمسك فيه بالعلم، فكر أن يختصي حتى لا ينشغل بالزواج أو السعي للزواج عن العلم، وأقام بين يدي المصطفى، وما شبع قط من تضلع [1] العلم، فهو الرجل الذي جعل العلم حياته فوهب العلم له الحياة. وعاش أبو هريرة بعلمه حين مات الآخرين ، ومات الآخرين بينما أبو هريرة مازال يحيا ويعيش فينا، وما زال اسمه ينتقل من كتاب إلى كتاب، ومن الابن إلى

---

[1] تضلع: أى شرب حتى ارتوى.

الحفيد، والحقيقة أن هذه ليست صفات أبي هريرة وحده لكنها صفات كل عالم وهب حياته للعلم ثم أراد الله أن يجعل العلم سبباً في تخليد ذكره. يقول عبد الرحمن الكواكبي:

"لا يقتضي أن يتساوى العالم الذي صرف زهوة حياته في تحصيل العلم النافع أو الصنعة المفيدة بذاك الجاهل النائم في ظل الحائط " [١] فلا يستوي العالم الذي قضى عمره يتعلم، ليعلم غيره مع أولئك الذين ناموا الليل ليأكلوا بالنهار، وأكلوا بالنهار لينناموا الليل. يقول الإمام على:-

الناس من جهة الآباء أكفاء ... أبوهم آدم وأمهم حـــواء
نفس كنفس وأرواح مشاكلة ... وأعظم خلقت فيها وأعضاء
وإنما أمهات الناس أوعية ... مستودعات وللأحساب آباء
فإن يكن لهم من أصلهم شرف ... يفاخــرون به فالطين والمـــاء
ما الفضل إلا لأهل العلم إنهم ... على الهدى لمن استهدى بهم أدلاء
وقيمة المرء مكان يحسنه ... والجاهلون لأهل العلم أعداء
وضد كل أمرئ ما كان يجهله ... والجاهلون لأهل العلم أعـداء
وإن أتيت بجود من ذوي نسب ... فإن نسبتنا جــود وعلياء
فقم بعلم ولا تطلب به بـدلاً ... فالناس موتى وأهل العلم أحياء

---

(١) ذكرها عبد الرحمن الكواكبى في كتابه " طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد".

(٢) ديوان الإمام علي ص ٨ ، دار الحرم للتراث.

يقول الشافعى:

تصبر على مر الجفا من معلم فإن رسوب العلم في نفراته
ومن لم يتذوق مر التعلم ساعة تجرع ذل الجهل طول حياته
ومن فاته التعلم وقت شـــبابه فكبر عليه أربعاً لوفاتــه[1]

فكم من ميت يسير فوق التراب، وكم من حي فى باطن الأرض وكم من ضاحك بملء فيه قد حشوت أحشاءه بالجهل، وصُبر عقله بالحماقة؛ وكم من متكلم لا يفقه ما يقول ويحتسب في نفسه المعرفة دون أن يدري بأنه لا يدري، أما أبو هريرة فقد نزهه الله عن ذلك فهو الرجل الذي جهلنا تأكيد موعد وفاته لكننا علمنا أن علمه قد أجهل من سواه. فنحن الآن بعد وفاة أبي هريرة بأكثر من أربعة عشر قرن ما زلنا لا نعلم بالتحديد وقت وفاته، وما زال هناك اختلاف فى ذلك يقول هشام بن عروة : " مات أبو هريرة سنة ٥٧ هجرية " وقال ابن معشر: " توفى أبو هريرة سنة ٥٨ هجرية" ، وقال أبو سلمة: إن أبا هريرة مرض فدخلت عليه أعوده فقلت:- اللهم اشف أبا هريرة، فقال:- اللهم لا ترجعها، ثم قال- يا أبا سلمة يوشك أن يأتي على الناس زمان يكون الموت أحب إلى أحدهم من الذهب الأحمر [2] .

---

(١) الإمام الشافعي فى ديوانه ص ٣٢ ، دار مكتبة الهلال.

(٢) ابن كثير في كتابه " البداية والنهاية" ص ٤٦٣ ، الجزء الثامن ، دار التوفيقية للتراث.

وروى عطاء أن أبا هريرة قال:- " إذا رأيتم ستا فإن كانت نفس أحدكم في يده فليرسلها، فلذلك أتمنى الموت أخاف أن تدركنى ، إذا أمرت السفهاء، وبيع الحكم، وتهون الدم، وقطعت الأرحام، وكثرة الجلاوزة، ونشأ نشء يتخذون القرآن مزامير" [١]

وروى عن عمير بن هانئ أن أبا هريرة قال:- " اللهم لا تدركني سنة ستين" يقصد أبو هريرة بسنة ستين هجرية بعام تولى يزيد بن معاوية الحكم (إمارة السفهاء) يقول الواقدي: أن أبا هريرة توفي سنة ٥٩ هـ [٢]

ولكن يبقى الأمر الذي لا خلاف عليه هو قدر هذا العالم الذي لولا أن قدر الله ظهوره لضاعت آلاف الأحاديث للنبي، ولولا ان قدر الله ظهوره لتصدعت أركان الفقه.

---

(١) ابن كثير في كتابه " البداية والنهاية" ص ٤٦٣ ، الجزء الثامن ، دار التوفيقية للتراث.

(٢) ابن كثير في كتابه " البداية والنهاية" ص ٤٦٥ ، الجزء الثامن ، دار التوفيقية للتراث.

الخلاصة

لكل مجتمع طبقات، ولكل طبقة فئات، وكل فئة تنقسم في أهواء أفرادها، والأفراد يتعددون في طباعهم، فمنهم الطامح، ومنهم الباحث عن المجد، ومنهم من يركض خلف العلم، ومنهم من توقف سقف طموحه عند أدنى المتطلبات، ومنهم من طلب الآخرة فترك الدنيا، ومنهم من طلب الدنيا فترك الآخرة، ومنهم من طلب الآخرة واختار أن يفرض صوته في الدنيا، ومنهم من أعلن الجهاد فى سبيل الله؛ فأصلت السيف باحثا عن كل محقر من شأن الدين، فكل هؤلاء مجموعات بداخل كل مجموعة أهواء، فمنهم من لم يجد له فى الحياة متسع، ومنهم القائم الذي ليس له مقعد، ومنهم القاعد الذى ليس له موضع قيام، فالناس طبائع قد أخفى الله سر العظمة بينهم، فالطبائع مختلفة ألوانها، وبين كل لون والآخر تلك الشعرة التي تصنع تفاوت الطبقات، وفروق الدرجات، وتبدي بين طياتها ومضة تحمل شعاع العظمة ، فلا يدركه إلا قليل من المخلوقات الذين اجتباهم الخالق فأجرى على أيديهم منافع الخلق، وأوجد بين تصرفاتهم منابع العظمة فهم القادة في المعارك، والسادة في الرأي، وأصحاب الكلمة النافذة في أوقات البلبلة، كلمتهم حسم في ساحات الرأى، ورأيهم قاطع في لحظات التردد، هم حملة العلم وأصحاب الفقه الذين فى فصاحتهم تكمن حلول المعضلات، وفي بلاغتهم تستتر لحظات الحماسة حين يتراخى الآخرون، فهم أهل الزبون[1] في أوقات الفر.

---

[1] الزبون : الحرب.

وأهل الهيجاء في لحظات الكر، فبالرغم أن عددهم لا يتجاوز عدد أصابع اليد إلا أن أخبارهم تتناقل عبر الأجيال، وأفعالهم تتناثر آثارها على مر العصور، فهم نُضار[1] البشر وثمرة عزتهم، ومؤكد أن أبا هريرة واحد من أبرزهم على الإطلاق . فهو مصدر إلهام لكل من يبحث عن العلم، وصبره ينبوع الثبات لكل طالب علم، وثباته مصدر أمل لكل باحث عن فضل عند الله. فحياته لها بريق خاص، وخصوصيته لها طابع خاص، ولقد اخترت هذا الصحابي لأتحدث عنه نظراً لما رأيته فى سيرته من ملامح العظمة، وما التمسته من نسمات الفضل، فأنا أضع أبا هريرة قدوة أمام يدي كل من يطلب العلم وأكتب سيرته كمعرفة لكل من عجز عن فهم معنى الكفاح، وحقيقة الثبات، وأصل النجاح، وكيف أنه قضم العلم حتى تآكلت بطنه من الفقر وانشغل به حتى لم يجد غيره فنحى كل ما تجده نفسه مما يشتهيه البشر حتى فكر أن يختصي، فلا تجد إليه الشهوة طريق ولا يضع لإضاعة الوقت منفذ حتى صار خير صورة شُكلت لمعلم أمام تلاميذه ، فكل تلميذ فى قلبه موضع حب واحترام حقيقى لمعلمه؛ فهو يقتدي به ويتصرف كما يأمره، وينفذ ما يطلبه، فلذلك كانت القدوة هي الجانب الأهم لكل صاعد على مصعده، ولكل سائر في طريقه، فالعمل وحده دون رجل تقتدي به لا يكفي، أما الإقتداء بالعظماء يضعك بينهم وتصرفك على نحوهم يجعلك منهم.

---

(١) نضار: الخالص من كل شئ.

فإذا كنت مجاهد في سبيل الله وأصابتك لحظات انكسار فيكفي أن تتذكر: خالد بن الوليد. في معركة اليمامة حتى تصمد كصموده، وإذا أصابتك قلة واضطرتك الظروف على مواجهة جحافل فيكفي أن تتذكر: ألب أرسلان. في موقعة ملاذ كرد ، أما إذا كنت طالب علم وأصابتك علة فيكفي أن تتذكر الشافعي حتى تزال عنك كل لحظات الهم والحزن، وإذا أعطتك الدينا ظهرها فيكفي أن تتذكر الإمام : احمد بن حنبل . فى فتنة خلق القرآن.

أما إذا أردت قدوة قد مرت بكل هذه الظروف واقتدى بها كل هؤلاء فيكفيك رسول الله ﷺ وأصحابه الأربعة، فمجد العرب ما ضاع إلا بضياع تاريخهم ونسيانهم لماضيهم فاختلطت عليهم الأوراق، وتشابكت بينهم الصفات، وامتزجت بينهم الأنساب فتساوى أشراف القوم مع غيرهم.

فما عاد الابن يعرف أباه، وما عاد الأب يفقه شئ عن تاريخ جده. أضعنا علمنا فما عاد لحرف الضاد[1] موضع بين الكلمات ، وأضعنا أنسابنا ففقدنا تلك اللهجة التى كان يتفاخر بها أجدادنا على العجم .

فلكى نبنى مجتمع إسلامى حقيقى يجب أن نعيد صياغة التاريخ، ونزداد معرفة به، ونصنع القدوة لكل في مجاله، ونوجد المعلم لكل حسب

---

[1] حرف الضاد : كناية عن اللغة العربية.

طلبه، ونفقه الأم حسبما تود أن تصنع من ابنها. فسفيان الثورى لولا أمه لما أصبح سفيان، والإمام مالك لولا أمه لما ملك العلم.

فالأم هى الرحم التى يترهل بها شخص الرجل كبيراً ، وهى المدرسة التى يتكون بها عقله ، وهى الظروف التى تصنع صلابته، وهى العدو الذى يشكل شجاعته، وهى الرحمة التى يركض إليها فى مواضع القسوة، وهى القسوة التى تشد من أزره في مواضع التقهقر، فهى يمكن ان تكون الشئ ويمكن أن تكون نقيضه لكنها كل شئ.

فأوجدوا القدوة، وأحسنوا إعداد المعلم، وأصلحوا الأمهات ينصلح حال المجتمع.

فهرس

مقدمة ٥
أخلاقـه ١٩
شجاعته ٢٧
كرمه ٣٣
إسلامـه ٣٧
إسلام أمه ٤٥
طلبه للعلم ٥٣
حكمته ٧٥
علمه ١٠١
ولايتـه ١٢٣
وفاته ١٣٥
الخلاصة ١٤٥